الفروق اللغوية
في
مشارق الأنوار على صحاح الآثار
للقاضي عياض (٤٧٦ – ٥٤٤ هـ)

دكتور

ياسر السيد رياض السيد المرسى

(المدرس في كلية اللغة العربية بالزقازيق)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الأنام سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه .. وبعد فهذا بحث بعنوان (الفروق اللغوية في مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض) . ويقع هذا الكتاب في جزءين من القطع الكبير دون تحقيق من طبعة المكتبة العتيقة بتونس ودار التراث بالقاهرة سنة ١٣٣٣ هـ . وهي الطبعة التي اعتمدت عليها [١].

وموضوعه ألفاظ الحديث الشريف ، من حيث إيضاح معانيها وضبطها ، وغير ذلك من فوائد حسان اشتمل عليها الكتاب ، وأبان عنها المؤلف في مقدمته كما سيأتي بإذن الله تعالى .

ويذكر المترجمون والمصنفون أنه في غريب الحديث [٢] ومن معاجمه [٣] .

وقد حلل القاضي مادة الكتاب المرتبة هجائيا على المستويات اللغوية المعروفة، ولكن أكثرها يتعلق بالدلالة والبينة ، وتمثل قضية (الفروق اللغوية) فيه ظاهرة دلالية مهمة ؛ فقد عنى باختلاف الرواية وأثره في الدلالة ، وتحرير دلالات بعض الألفاظ بذكر الفرق بينها وبين غيرها ، وتطلب السياق للفظ دون غيره.

وهذه الظاهرة تؤكد دقة اللغة العربية وإحكامها وشاعريتها وسعتها ، وتعين دراستها على الاستعمال اللغوي السليم . وما أجمل أن نتناول ذلك في كلام أفصح الخلق صلى الله عليه وسلم وصحابته من العرب الفصحاء.

فعزمت لذلك على دراسة هذه الظاهرة في هذا الكتاب واصفا لكلامه ومحللا ومناقشا . وحاولت في وسط ذلك تفسير تخصيص الصيغة واللفظ بالمعنى على أن ذلك كان أكثر فهما يتعلق بالصيغ ورتبت الألفاظ داخل كل فصل على الترتيب الهجائي.

---

(١) طبع قبل بفاس بين سنتي ١٣٢٨ – ١٣٢٩ هـ (معجم المعاجم للأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال ٣٤) .

(٢) ينظر وفيات الأعيان ٣ / ٤٨٣ ، وشذرات الذهب ٤/ ١٣٨ .

(٣) ينظر معجم المعاجم ٣٤ .

وقد اقتضت مادة البحث أن تأتي في ثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتمهيد ويتلوها خاتمة وفهرس للمصادر والمراجع.

أشرت في المقدمة إلى أهمية موضوع البحث ،والدافع إليه ، والمنهج المتبع فيه.

وتحدثت في التهميد عن معنى الفروق اللغوية وعن القاضي عياض وكتابه (مشارق الأنوار) ليكون هناك تصور عام عن الرجل وكتابه قبل تناول الفروق فيه والتي تلقي الضوء أكثر على هذا التصور .

وخصصت الفصل الأول للفرق بين اللفظين لاختلاف صيغة كل منهما .

والفصل الثاني للفرق بين اللفظين باعتبار صفة معنى كل منهما .

والفصل الثالث للفرق بين اللفظين باعتبارات مختلفة .

وذكرت في الخاتمة أهم نتائج البحث .

ويعد هذا البحث لبنة في صرح دراسات سابقة عليه لدراسة الفروق اللغوية في كتب التراث [1].

وإني لأرجو من الله عز وجل أن أكون قد وفقت فيما قصدت إليه ، وهو حسبي ونعم الوكيل

المؤلف

---

(١) مثل : الترادف والفروق في البحر المحيط لأبي حيان د. عبد المنعم عبد الله حسن ، ط دار والي المنصورة ١٩٩٤ . الفروق الدلالية في تاج العروس للزبيدي . د/ محمد رياض كريم ، ط التركي طنطا ، ٢٠٠٤م. الفروق اللغوية في كتاب مجمع البيان للطبرسي د. محمود عبد الله الطاهر (١٩٩٧) . الفروق اللغوية في كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي د. عبد الله أحمد محمد باز ، ط دار الزهراء الزقازيق ٢٠٠١م . الفروق اللغوية في لسان العرب لابن منظور د. محمد عبد اللطيف علي . مطبعة دار الفكر جرجا ٢٠٠٥ م. الفروق اللغوية في معجم ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني . د/ سعيد محمد محمود الفواخري ٢٠٠٣ م .

تمهيد

(أ) معنى الفروق اللغوية وصلتها بالترادف

تناول الفروق اللغوية يعني (الكلام في الفرق بين معان تقاربت حتى أشكل الفرق بينها) [١].

أو (تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة) [٢].

والدراسة الموضوعية منها هي التي تقر بما يهدي إليه البحث والواقع اللغوي ، دون تعسف يفضي إلى إنكار ظاهرة الترادف في اللغة العربية جملة . (ويحكى عن أحمد بن يحيى إنكار ذلك ، ومنع جوازه ، ويزعم أن في كل لفظ زيادة معنى ليس في الآخر . ففي " ذهب " معنى ليس في " مضى " . وكذلك باقي الباب . وهذا قول ليس بالسديد؛ لأنه يَبطل بالكنايات المضمرة . فإن ضمير المرفوع يغاير الضمير المنصوب ، والضمير المنفصل يغاير الضمير المتصل ، وليس فيها زيادة معنى ، بل كلها عبارة عن معبَّر واحد) [٣].

على أن الترادف التام الذي يسمح بتبادل الألفاظ في أي سياق نادر الوقوع إلى درجة كبيرة [٤]. أما شبه الترادف أو التشابه أو التقارب فيحمل عليه كثير من الكلمات التي توصف بالترادف . وذلك حين يتقارب اللفظان تقاربا شديدا ، لدرجة يصعب معها – بالنسبة لغير المتخصص – التفريق بينهما ، ولذا يستعملها كثيرون دون تحفظ مع إغفال هذا الفرق [٥].

(ب) كلمة موجزة عن القاضي عياض وكتابه

---

(١) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (مقدمة المؤلف) ٢١

(٢) المفردات للراغب (مقدمة المؤلف) ٨

(٣) شرح الملوكي في التصريف لابن يعيش ٩٧

(٤) ينظر دور الكلمة في اللغة ١٠٩

(٥) ينظر علم الدلالة د/ أحمد مختار عمر ٢٢٠-٢٢١

(١) **القاضي عياض** :

هو الحافظ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليَحْصُبِي السَّبْتِي المالكي[١].

واليحصبي (بتثليث الصاد) نسبة إلى يَحْصب بن مالك قبيلة من حمير . والسبتي نسبة إلى (سَبْتَةَ) مدينة مشهورة بالمغرب ، وكان مولده بها في النصف من شعبان سنة (٤٧٦ هـ) ست وسبعين وأربعمائة [٢].

سمع من **شيوخ** سبتة ، ثم دخل الأندلس فأخذ بقرطبة وغيرها عن جماعة وجمع من الحديث كثيرا وكان له عناية كبيرة به والاهتمام بجمعه وتقييده [٣].

و (شيوخه يقاربون المائة) [٤] منهم : أبو الحسين بن سراج اللغوي والقاضي الشهيد أبو الحسين على بن محمد الصدفي والقاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدين والحافظ أبو علي الحسين بن محمد الغساني وأبو محمد عبد الرحمن بن عتاب ، وقد أجازوا له[٥].

---

(١) ترجمته في وفيات الأعيان ٣ / ٤٨٣ ، وتذكرة الحافظ للذهبي ٤ / ١٣٠٤ ، وشذرات الذهب ٤ / ١٣٨ ، ومفتاح السعادة ٢/١٣٠ – ١٣١ ، وهدية العارفين ٥ / ٨٠٥ ، والأعلام ٥ / ٩٩ ، وفيه : (... ابن عمرون) بخلاف المصادر المتقدمة وما على صدور بعض كتب القاضي مما رأيته ، ففيها (ابن عمرو) بالواو .

(٢) وفيات الأعيان ٣ / ٤٨٥ .

(٣) ينظر مشارق الأنوار (مقدمة المؤلف) ١ / ٣ – ١١ ، ووفيات الأعيان ٤٨٣/٣ .

(٤) وفيات الأعيان ٤٨٥/٣ .

(٥) ينظر مشارق الأنوار (مقدمة المؤلف) ٣/١–١١ ، ووفيات الأعيان ٤٨٥/٣ ، وتذكرة الحافظ ١٣٠٥/٤ ، وشذرات الذهب ١٣٨/٤ .

وروى عنه خلق كثير ، منهم : أبو جعفر بن القصير الغرناطي ، وعبد الله بن محمد الأشيري ، وأبو القاسم خلف بن بَشْكُوال ، ومحمد بن الحسن الجابري ، وأبو محمد بن عبيد الله الحجري [١].

ولي قضاء سبتة مدة ثم قضاء غرناطة سنة (٥٣٢ هـ) اثنتين وثلاثين وخمسمائة [٢].

وحمد في سيرته وعلمه وتفنن في علوم عديدة قال عنه تلميذه ابن بَشْكُوال (ت٥٧٨هـ) (هو من أهل التفنن في العلم والذكاء واليقظة والفهم) [٣].

وذكر ابن الأبّار أنه أحد الأئمة الحافظ الفقهاء المحدثين الأدباء وتواليفه وأشعاره شاهدة بذلك) [٤].

وأشار ابن خلكان (ت٦٨١هـ) إلى أنه (كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم) [٥].

ونقل ابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ) أيضا أنه (كان إمام وقته في علوم شتى مفرطا في الذكاء ... وبالجملة فإنه كان عديم النظير ، حسنة من حسنات الأيام ، شديد التعصب للسنة والتمسك بها) [٦]. (ثقة ورعا زاهدا عابدا) [٧] (حاز من الرياسة في بلده بلده ومن الرفعة ما لم يصل إليه أحد قط من أهل بلده ، وما زاده ذلك إلا تواضعا وخشية لله) [٨].

---

(١) ينظر تذكرة الحفاظ ١٣٠٦/٤

(٢) وفيات الأعيان ٤٨٤/٣

(٣) السابق ٤٨٣/٣ – ٤٨٤ ، وينظر تذكرة الحفاظ ١٣٠٥/٤ .

(٤) وفيات الأعيان ٤٨٥/٣ .

(٥) نفسه ٤٨٣/٣

(٦) شذرات الذهب ١٣٨/٤ – ١٣٩

(٧) مفتاح السعادة ١٣١/٢

(٨) تذكرة الحفاظ ١٣٠٥/٤

وما أحسن قول الفقيه أبي الحسن بن هارون المالقي فيه (من الكامل)

ظَلَمُـوا عِيَاضـا وهـو يحلُـمُ عنـهمُ ... والظُّلْـمُ بـيْنَ العـالمين قَـدِيمُ
جَعَلُـوا مكـان الـراءِ عيْنـا في اسمـه ... كَـيْ يَكْتمـوه فإنَّـهُ مَعْلُـومُ

لـولاهُ مـا فاحَـتْ أبـاطِحُ سَـبْتَةٍ ... والـرَّوْضُ حَـوْل فِنَائِهَـا مَعْـدُومُ [1]

وله شعر حسن منه ما رواه عنه ابنه قاضي دانية أبو عبد الله محمد بن عيـاض (ت ٥٧٥هـ) (من السريع):

انظـر إلى الـزَّرع وخَامَاتـه ... تحكى وقـد مـا سَـتْ أمـامَ الريـاحْ
كتيبـةً حمـراءَ مَهْزُومَـةً ... شَـقَائِقُ النُّعمـانِ فيهـا جِـرَاحْ [2]

وله مصنفات كثيرة قيمة (سارت بها الركبان واشتهر اسمه وبعُد صيته ... ولم يكن أحد بسبتة في عصره أكثر تواليف منه) [3] . وكلها كما قال ابن خلكان (بديعة) [4] منها:

منها:

١. الأجوبة المخيرة عن الأسئلة المحيرة .

٢. أخبار القرطبيين .

٣. إكمال المعلم شرح صحيح مسلم . كمل به المعلم في شرح مسلم للمازري .

٤. الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع . وهو في مصطلح الحديث .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/٤٨٤ – ٤٨٥ ، وفي شذرات الذهب ٤/١٣٩ بخلاف في بعض الألفاظ ودون نسبة.
(٢) وفيات الأعيان ٣/٤٨٤ ، وفي تذكرة الحفاظ ٤/١٣٠٦ ، برواية (خضراء) بدلا من (حمراء) .
(٣) تذكرة الحفاظ ٤/١٣٠٥ .
(٤) وفيات الأعيان ٣/٤٨٣

٥. بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زَرْعٍ من الفوائد .

٦. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب الإمام مالك .

٧. التنبيهات المستنبطة في شرح مشكلات المدونة والمختلفة في الفروع .

٨. جامع التاريخ . جمع فيه أخبار ملوك الأندلس والمغرب واستوعب فيه أخبار سبتة وعلمائها .

٩. السيف المسلول على من سب أصحاب الرسول .

١٠. الشفا بتعريف حقوق المصطفى – صلى الله عليه وسلم – وهو كتاب نفيس لم يسبق إلى مثله كما يقال عنه.

١١. الصفا بتحرير الشفا.

١٢. العقيدة .

١٣. العيون الستة في أخبار سبتة .

١٤. غريب الشهاب.

١٥. غنية في أسماء الشيوخ.

١٦. غنية الكاتب وبغية الطالب .

١٧. مشارق الأنوار على صحاح الآثار. (وهو موضوع البحث).

١٨. مطامح الأفهام في شرح الأحكام .

١٩. نظم البرهان على صحة جزم الأذان [1].

---

(١) هذه الكتب له في هدية العارفين ٥/٨٠٥ وبعضها في وفيات الأعيان ٣/٤٨٣ ، وتذكرة الحفاظ ٤/١٣٠٥ ، وشذرات الذهب ٤/١٣٨ ، والأعلام ٥/٩٩.

ورحل بعد هذه الحياة العامرة عن عالمنا ، كما قال ابنه محمد – في ليلة الجمعة نصف اللية التاسعة من جمادي الآخرة سنة (٥٤٤ هـ) أربع وأربعين وخمسمائة [١] ، وله ثمان وستون سنة ، ودفن بباب إيلان بمراكش[٢] . رحمه الله رحمة واسعة ونفعنا بعلمه .

(٢) كتاب : مشارق الأنوار على صحاح الآثار

سبب تأليفه

ذكر المؤلف في مقدمته أنه قصد من وراء تأليفه تفسير غريب أحاديث الموطأ للإمام مالك (ت١٧٩هـ) والصحيحين للبخاري (ت٢٥٦هـ) ومسلم (ت٢٦١هـ) وبيان ما اختلفت فيه الرواية وأشكل معناه ، وضبط الألفاظ من التحريف ، والتنبيه على الأوهام والتصحيف ، مع ضبط ما أشكل من الأسماء والكنى والألقاب والمواضع. فقد هاله ما رآه من ذلك ، مع تكرر السؤال عليه في وضع كتاب يجمع هذا ويعالجه [٣].

ورأي من المناسب ترتيب كلماته على حروف المعجم ؛ ليكون أيسر للناظر وأقرب للطالب [٤] . وسماه بهذا الاسم المشار إليه آنفا [٥].

مصادر الكتاب

اعتمد القاضي في كتابه هذا على كتب اللغة والحديث وغريبه وغيرها ، وأبرزها :

١. أدب الكاتب لابن قتيبة [٦].
٢. إصلاح المنطق لابن السكيت [٧].

---

(١) تذكرة الحفاظ ١٣٠٦/٤ .
(٢) وفيات الأعيان ٤٨٥/٣ ، ومفتاح السعادة ١٣١/٢.
(٣) ينظر مشارق الأنوار ٥/١ و ٤٠٦/٢ .
(٤) نفسه ٦/١ .
(٥) نفسه ٧/١ .
(٦) ينظر السابق (فصل مشكل الأنساب في حرف الجيم) ١٧٤/١ .
(٧) ينظر السابق الموضع نفسه .

٣. الأفعال لابن القوطية [١] . وكان ينعته دائما بصاحب الأفعال وتبين من خلال مقارنة النصوص أنه يقصده.

٤. البارع في اللغة لأبي علي القالي [٢].

٥. تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي [٣].

٦. جامع اللغة [٤]. لم يسم مؤلفه .

٧. جمهرة اللغة لابن دريد [٥].

٨. الحيل [٦]. لم يسم مؤلفه أيضا .

٩. العين للخليل بن أحمد وقد أكثر من النقل عنه [٧].

١٠. الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام [٨].

١١. غريب الحديث للخطابي [٩].

١٢. مختصر العين [١٠].

١٣. مصنف ابن أبي شيبة[١].

---

(١) ينظر مشارق الأنوار (ترك) ١٢٠/١ ، (شرع) ٢٤٨/٢ .

(٢) ينظر السابق (جنب) ١٥٥/١ ، (عتق) ٦٦/٢ .

(٣) ينظر السابق (فصل في بيان مشكل " أن ") ٤٢/١.

(٤) ينظر السابق (بأب) ٧٥/١ .

(٥)ينظر السابق (ثعر) ١٣٣/١ ، (هوع)٢٧٣/٢ .

(٦) ينظر (بصر) ٩٦/١ .

(٧) ينظر (برج) ٨٣/١ ، (غفا) ١٣٨/٢.

(٨) ينظر (حلو) ١٩٧/١ ، (وهل) ٢٩٧/٢ .

(٩) ينظر (فصل الاختلاف والوهم في حرف الراء مع الضاد) ٢٩٤/١ .

(١٠) ينظر (بول) ١٠٤/١ .

١٤. معجم ما استعجم للبكري [٢].

١٥. المنضد [٣]. لم يسم مؤلفه .

١٦. نوادر ثعلب [٤].

وينقل أيضا عن العلماء دون تسمية للكتاب ، فينقل مثلا عن الخليل (ت١٧٥هـ) وسيبويه (ت١٨٠هـ) والنضر بن شميل (ت٢٠٤هـ) والفراء (ت٢٠٧هـ) وأبي زيد (ت٢١٥هـ) والأصمعي (ت٢١٦هـ) وأبي إسحاق الحربي (ت٢٨٠هـ) وثعلب (ت٢٩١هـ) والزجاج (ت٣١١هـ) وابن الأنباري (ت٣٢٨هـ) ، وابن الأعرابي (ت٣٤٠هـ) وأبي علي الفارسي (ت٣٦٨هـ) والأزهري (ت٣٧٠هـ) والخطابي (ت٣٨٨هـ) والجوهري (ت٤٠٠ هـ تقريبا) وهؤلاء تتردد أسماؤهم وتكثر في الكتاب .

وهو في ذلك ينقل ويعقب ويرد ويأخذ ، كقوله مثلا : (زعم ابن قتيبة أنه لا يقال : أخير ولا أشر ، وإنما يقال : خير وشر [٥] ، قال الله تعالى " شَرٌّ مَّكَانًا " [٦] و "خَيْرٌ ثَوَابًا " [٧] . وقد جاء هذا اللفظ في غير حديث ؛ فدل على جوازه) [٨].

وقوله أيضا : (الرزق المذكور في الكتاب والآثار : ما منحه الله من حلال أو حرام عند أهل السنة ، وغيرهم يخصه بالحلال ، واللغة لا تقتضيه) [٩].

---

(١) ينظر (فصل الاختلاف والوهم في حرف الخاء مع الفاء) ٢٤٦/١.

(٢) ينظر (فصل المواضع في حرف الباء) ١١٥/١ .

(٣) ينظر (بشع) ١٠١/١ .

(٤) ينظر (شد) ٢٤٦/٢.

(٥) ينظر كلام ابن قتيبة في أدب الكاتب ٣٧٢ .

(٦) المائدة من الآية ٦٠ وهو أول موضع لها ، وفي المطبوع من كتاب المشارق (مقاما) مكان (مكانا) وهو تحريف .

(٧) الكهف من الآية ٤٤.

(٨) مشارق الأنوار (فصل الاختلاف والوهم في حرف الخاء مع الياء) ٢٥٠/١ .

(٩) نفسه (رزق) ٢٨٨/١ .

الاستشهاد في الكتاب

لا تمثل الاستشهادات فيه سمة بارزة ؛ فهي قليلة ، وجلها من القرآن الكريم [١] والحديث النبوي الشريف[٢]، ويأتي بعدها الشعر [٣] والنثر [٤] .

الضبط

عني القاضي عياض في هذا الكتاب بالضبط إلى حد بعيد ؛ حتى ترد الألفاظ على وجهها الصحيح ، وتخلص الروايات أيضا من آثار التصحيف والتحريف ، اللذين منيت بهما دواوين وأمهات في الحديث ، نشط القاضي إلى التنبيه عليهما في الكتاب ، كما مر في الغرض من تأليفه .

فقل أن تخلو مادة فيه من التنبيه على الضبط في كلماتها ، كقوله مثلا في (أ ث ل) : (قوله: من أثل الغابة) بفتح الهمزة وسكون الثاء ، وهو شجر يشبه الطَّرْفاء أعظم منه ، وقيل هو الطرفاء نفسها) [٥].

وقوله أيضا في (فصل مشكل أسماء المواضع في حرف الحاء) : (الحزورة ، بفتح الحاء وسكون الزاي وفتح الواو والراء بعدها ، كذا صوابه ، قال الدارقطني : والمحدثون يقولنه

---

(١) ينظر مثلا (رجو) ٢٨٣/١ ، (رحم) ٢٨٦/١ من الكتاب.

(٢) ينظر مثلا (بني) ٩١/١ ، (مهر) ٣٨٩/١ من الكتاب .

(٣) ينظر مثلا (رأس) ٢٧٦/١ ، (سور) ٢٣٠/٢ من الكتاب .

(٤) ينظر مثلا (فصل الاختلاف والوهم في حرف الخاء مع الميم) ٢٤١/١ من الكتاب

(٥) مشارق الأنوار (أثل) ١٨/١ .

(الحزورة بفتح الزاي وتشديد الواو ، وهو تصحيف ، وكانت سوق مكة وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه . وقد ضبطنا هذا الحرف على ابن سراج بالوجهين) [١].

منزلة الكتاب

هذا الكتاب له فوائد كبيرة ؛ لموضوعه ، ومعالجة القاضي لمادته . وقد عرف العلماء له فضله ؛ فأثنوا عليه ، ونقلوا عنه .

قال ابن خلكان (ت٦٨١هـ) وهو يشير إلى تصانيفه : (ومنها " مشارق الأنوار " وهو كتاب مفيد جدا في تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلاثة وهي الموطأ والبخاري ومسلم) [٢].

وممن نقل عنه النووي (ت٦٧٦هـ) في شرح صحيح مسلم [٣] ، والدميري (ت٨٠٨ هـ) في حياة الحيوان[٤].

مآخذ

ومع ذلك فلم يسلم الكتاب من شوائب النقصان ، فيلاحظ عليه مثلا :

١. اضطراب المنهج أحيانا ، بعدم التزام الترتيب الألفبائي الذي شرطه على نفسه في سوق المواد .

فمثلا تراه يذكر مادة (ج ح ش) بعد (ج ح ف) [١] . ويذكر (ر ع ع) بعد (ر ع م م) [٢] . ويذكر (و س ع) بعد (و س م) [٣] .

---

(١) السابق ١/٢٢٠ .

(٢) وفيات الأعيان ٣/٤٨٣ .

(٣) ينظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/٩٩ ، ١٧/١٧١ – ١٧٢ ، ١٨/٢١.

(٤) ينظر حياة الحيوان (الخشخاش) ١/٢٤٧ .

وهذا في الحقيقة في مواضع عديدة .

٢. عدم تحري الدقة أحيانا في عناوين بعض الكتب التي ينقل عنها :

كقوله : (وقوله : " إنك إن تذر ورثتك أغنياء " بالوجهين : الكسر على الشرط ، والفتح على تأويل المصدر وتركهم أغنياء . وأكثر رواياتنا فيه الفتح ، وقال ابن مكي في كتاب تقويم اللسان : لا يجوز هنا إلا الفتح)[٤].

وكتاب ابن مكي الصقلي (ت٥٠١هـ) معروف بـ " تثقيف اللسان " وليس تقويم اللسان ، ولم ترد هذه الكلمة في عنوان الكتاب [٥] . وكلام ابن مكي في كتابه : تثقيف اللسان ونصه : (... والصواب : إنك أن تذر ، بفتح الهمزة والراء) [٦]. ولعل القاضي عياضا ذكر الكتاب بمرادفه ؛ فالتثقيف يعنى التقويم (يقال : ثَقَّفْتُ القناةَ إذا أَقَمْتَ عِوَجَها) [٧].

على أن ذلك قليل جدا في الكتاب ، بل لم أعثر له إلا على هذا المثال .

٣. التسرع أحيانا في إصدار بعض الأحكام كتخطئة بعض الروايات التي لم تأت على المشهور في اللغة [٨] . وهذا أيضا قليل جدا .

ولا يمكن لذلك أن يقلل من أهمية الكتاب ، ولا أن يطفئ من أنواره فهو – في الحقيقة – اسم على مسمى.

---

(١) ينظر مشارق الأنوار ١٤٠/١.

(٢)ينظر السابق ٢٩٤/١ .

(٣) ينظر السابق ٢٩٥/٢ – ٢٩٦ ولمزيد من الأمثلة ينظر ٢٤/٢ ، ٢٩ ، ٧٦ ، ١٤٧ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨.

(٤) مشارق الأنوار (فصل في بيان مشكل ما وقع في حرف الهمزة مع النون) ٤٢/١ ،

(٥) ينظر مقدمة محقق الكتاب د/ عبد العزيز مطر ١١

(٦) تثقيف اللسان ٢٥٦ .

(٧) المقاييس (ثقف) وينظر اللسان (ثقف)

(٨) ينظر مشارق الأنوار (فصل الاختلاف والوهم في حرف العين مع الزاي) ٨١/٢ .

الفصل الأول

الفرق بين اللفظين لاختلاف صيغة كل منهما

١. أَحَدٌ ووَاحِدٌ

قال القاضي عياض في (أ ح د) : (وفي حديث خيبر : إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء أَحَدٌ . كذا للمروزي ، ولغيره : وَاحِدٌ . قيل : هما بمعنى ، وقيل : بينهما فرق وأن الأحد المنفرد بشيء لا يُشارك فيه . وقيل : الأحَد مختص في صفة الله تعالى ، ولا يقال : رجل أَحَد . وقيل : الواحد المنفرد بالذات ، والأحد : المنفرد بالمعنى ومن أسماء الله تعالى الواحد الأحد . وقيل الفرق بينهما أن واحدا اسم لمفتاح العدد ومن جنسه وأحدا لنفي ما يذكر معه من العدد . قالوا : وأصل أَحَد : وَاحِدٌ) [١].

يصور هذا النص خلافا للعلماء في ترادف (أَحَد ووَاحِد) فبعضهم يرى أنهما بمعنى واحد .

والخليل بن أحمد [٢] وأبو حيان ممن يرون هذا ، قال أبو حيان في قوله تعالى (قل هو هو الله أحد) [٣] : (أحد بمعنى واحد ، أي فرد من جميع جهات الوحدانية ، أي في ذاته وصفاته لا يتجزأ . وهمزة أحد هذا بدل من واو)[٤].

ويفرق بعضهم بينهما بوجوه تدور على أن كلاً منهما له سياقات لغوية خاصة يستعمل فيها دون الآخر .

وقد أوردها ابن منظور في اللسان [١] . وفرق أبو هلال العسكري بينهما بأن (معنى معنى الواحد أنه لا ثاني له ؛ فذلك لا يقال في التثنية : واحدان ، كما يقال رجل ورجلان ،

---

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار (أحد) ٢٠/١.

(٢) ينظر العين (وحد) وعنه في مفاتيح الغيب ٧٧٢/١٦.

(٣) الإخلاص ١.

(٤) البحر المحيط ٥٧١/١٠ ، وينظر القاموس المحيط (أحد) و (وحد) .

ولكن قالوا اثنان حين أرادوا أن كل واحد منهما ثان للآخر ، وأصل أَحَد : أَوْحَد ... والواحد هو الذي لا ينقسم في وَهْم ولا وُجود وأصله الانفراد في الذات على ما ذكرنا ، وقال صاحب العين : الواحد أول العدد [٢] ، وحَدُّ الاثنين ما يبين أحدهما عن صاحبه بذكر أو عقد فيكون ثانيا له بعطفه عليه ، ويكون الأَحَدُ أولا له ولا يقال : إن الله ثاني اثنين ، ولا ثالث ثلاثة ؛ لأن ذلك يوجب المشاركة في أمر تفرد به) [٣].

ومن الفروق السياقية بينهما أيضا : (أنك إذا قلت : فلان لا يقاومه واحدٌ ، جاز أن يقال لكنه يقاومه اثنان بخلاف الأحد فإنك لو قلت لا يقاومه أَحَدٌ لا يجوز أن يقال : لكنه يقاومه اثنان) [٤].

ويرى الفيومي أنهما يترادفان في سياقين ، ويفترقان في غيرهما ، إذ قال : (ويكون أَحَدٌ مرادفا لواحِد في موضعين سماعا ، أحدهما وصف اسم الباري تعالى فيقال : هو الواحد وهو الأحد ، لاختصاصه بالأَحَديَّة فلا يَشْرِكُه فيها غيره ، ولهذا لا ينعت به غير الله تعالى فلا يقال : رجل أَحَدٌ ولا درهم أَحَدٌ ونحو ذلك والموضع الثاني : أسماء العدد للغلبة وكثرة الاستعمال ، فيقال أحد وعشرون وواحد وعشرون ، وفي غير هذين يقع الفرق بينهما في الاستعمال...) [٥].

على أن بعض ذلك لم يسلم من الاعتراض ، كقول بعضهم : لا يقال : رجل أَحَد . قال أبو حيان : (وقال ثعلب : بين واحد وأحد فرق ؛ الواحد يدخله العدد والجمع والاثنان، والأحد لا يدخله يقال : الله أحد ، ولا يقال: زيد أحد ؛ لأن لله خُصوصية له الأحد ، وزيد

---

(١) ينظر اللسان (وحد).

(٢) ينظر العين (وحد).

(٣) الفروق اللغوية ١٤١ – ١٤٢ .

(٤) مفاتيح الغيب ١٦ / ٧٧٢

(٥) المصباح المنير (وحد).

تكون منه حالات انتهى . وما ذكر من أن أحداً لا يدخله ما ذكر منقوض بالعـــدد) [١] . قال الخليل : (الواحد : أول عدد من الحساب . تقول في ابتداء العدد : واحـــد ، اثنـــان ، ثلاثة إلى عشرة . وإن شئت قلت : أحد ، اثنان ، ثلاثة) [٢] . وفي اللسان (رجل أَحَدٌ .... أي منفرد) [٣].

وعلى ذلك فلا ينبغي التسوية بينهما مطلقا ، ولا القول باختلافهما مطلقـــا فهمـــا يترادفان في سياقات معينة دون غيرها ، ويكشف كلام الفيومي عن خبرة ودراية لغوية واسعة ! ويتفق أحد المحدثين مع هذا في نظرته إلى الترادف قال الدكتور مختار عمـــر : (إذا أردنـــا بالترادف التطابق في المعنى الأساسي دون سائر المعاني ، أو اكتفينا بإمكانية التبادل بين اللفظين في بعض السياقات ... فالترادف موجود لا محالة) [٤].

٢. مَأْدَبة ومَأْدُبة :

قال القاضي عياض في (أدب) : (مَأْدبةٌ بفتح الدال وضمها : الطعام يصنع للقـــوم يدعون إليه ، ومنه واتخذ مأدبة ، ومن الأدب بالفتح . قيل : ومنه القرآن مأدبة الله أي أَدَبُه . وقيل : هو مثل من الطعام أي دَعْوَتُه ، وجعله الأصـــمعي في الطعـــام بالضـــم ، وفي الأدب بالفتح، وحكي عنه الأحمر أنهما لغتان ، وقالهما أبو زيد في الطعام) [٥].

---

(١) البحر المحيط ٥٧١/١٠ .

(٢) العين (وحد).

(٣) اللسان (وحد).

(٤) علم الدلالة ٢٣٠

(٥) مشارق الأنوار (أدب) ٢٣/١ .

وحكي أيضا أبو عبيدة (ت٢٢٤هـ) هذا عن الأحمر [١] .وفي الأفعال للسرقسطي (ت بعد ٤٠٠هـ) : (المأْدَبة والمأْدُبة : لغتان) [٢].

وفرق أبو عبيد بينهما بما عند الأصعمي . قال : (قوله : مأدبة فيه وجهان : يقال مأدُبة ومأدَبة فمن قال : مأدُبة أراد الصنيع يصنعه الإنسان فيدعو إليه الناس يقال منه : أدَبْت على القوم أدِب أدْبا وهو رجل آدب مثال فاعل ... وأما من قال : مأدَبة فإنه يذهب به إلى الأدَب يجعله مَفْعَلَة من ذلك) [٣]. وعلق على ما حكي عن الأحمر بقوله: (ولم أسمع أحدا يقول هذا غيره ، والتفسير الأول أعجب إليَّ) [٤] . وذكر ابن الأثير هذا الفرق [٥].

وفرق الزمخشري بينهما بأن (المأدَبة : مصدر بمنزلة الأَدْب وهو الدعاء إلى الطعام ، كالمَعْتَبَة بمعنى العَتْب . وأما المأدُبة فاسم للصنيع نفسه) [٦] . فهما في الطعام.

٣. البُغاء والبِغاء

قال القاضي عياض في (ب غ ي) : (وقوله : أَبْغني أحجارا وأبْغِني حبيبا ... أي أطلب لي . وقيل : معناه أعني علي طلبها ، وأصل البغاء : الطلب ؛ ومنه سميت البَغِيّ الزانية ، بكسر الغين ، لطلبها أو استئجارها لذلك. قال ابن قتيبة : في الطلب بُغاء بالضم وفي الزنا بِغاء بالكسر) [٧].

اختلفت الدلالة باختلاف صيغة المصدر . وقد فعلوا ذلك لأن شكل ماضي المصدرين واحد مع أن المعنى مختلف .

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/٢٢٣ ، واللسان (أدب).
(٢) الأفعال ١/٦٦ .
(٣) غريب الحديث ٢/٢٢٢ – ٢٢٣ ، وعنه في المقاييس واللسان (أدب) .
(٤) غريب الحديث ٢/٢٢٣ .
(٥) ينظر النهاية في غريب الحديث (أدب) .
(٦) الفائق في غريب الحديث ١/٣١ .
(٧) مشارق الأنوار (ب غ ي) ١/٩٨ .

وقد ذكر هذا الفرق بينهما ابن دريد [١] والجوهري في قوله : (بَغَى ضالته وكذلك كل طَلِبَةٍ بُغاء بالضم والمد ... وبَغَت المراة بغاء بالكسر والمد أي زنت) [٢]. وفي الذكر الحكيم : (ولا تكرهوا فَتَيَاتكُم على البِغَاءِ) [٣] وقال به أيضا الزمخشري [٤] وابن منظور[٥]والفيومي[٦]وغيرهم.

واختيار الضم والكسر لما اختيرا له من معنى ، اختيار دقيق له علة ، قال الزمخشري : (أُخرج بغاء الشيء على زنة الأَدْواء كالعُطاس والنُّحاز تشبيها لشغل قلب الطالب بالدَّاء ، وبِغاء المرأة على زنة العيوب كالشِّراد والحِران لأنه عيب فاحش) [٧] .

٤. البَلَّة والبِلَّة

قال القاضي عياض في (ب ل ل) : (قوله : " غير أن لكم رَحِما سأَبُلُّها ببلالها " كذا رويناه بكسر الباء وبفتحها من بَلَّة يَبُلُّه ... والبلاء : الماء ... ومنه قوله : بُلُّوا أرحامكم " أي صِلُوها . والبِلّة بالكسر البلال القليل ومنه: أجدُ البِلّة في منامي وأما بالفتح فالريح الباردة وهي البَليل أيضا) [٨] .

فالبلّة بالفتح لها معنى ، وبالكسر لها معنى ، وهما قريبان ، وبينهما علاقة وفي الصحاح كذلك : (ريح بَلَّةٌ : أي فيها بَلَل ... والبِلَّة بالكسر : النَّداوَة ... والبَلِيل والبَلِيلة : الريح فيها ندى) [٩].

---

(١) الجمهرة (بغى).
(٢) الصحاح (بغى).
(٣) النور من الآية ٣٣.
(٤) الفائق في غريب الحديث ١٢٢/١.
(٥) اللسان (بغى)
(٦) المصباح المنير (بغى)
(٧) الفائق في غريب الحديث ١٢٢/١
(٨) مشارق الأنوال (بلل) ٨٩/١
(٩) الصحاح (بلل) ، وينظر اللسان (بلل)

٥. ترب وأترب

قال القاضي عياض في (ت ر ب) : (قوله : أما معاوية فرجل ترب لا مال لـــه ، بفتح التاء وكسر الراء ، أي فقير كما في الحديث الآخر : صعلوك لا مال له ، يقال : تـــرب الرجل إذا افتقر ، وأَتْرَب إذا استغنى) [١].

وقال أيضا بهذا الفرق بينهما الخليل [٢] ، وأبو عبيد [٣] ، وثعلب [٤] ، وابن دريد [٥] [٥]وغيرهم [٦] . وعلل له ابن درستويه فقال : (أصل ذلك كله من التراب . وإنما قيـــل : ترب الرجل بمعنى لزق بالتراب لفقره ، أي ليس له شيء غير التراب ، وبني عـــل (فَعِـــل) بكسر العين ؛ لأنه من أمثلة الانفعال ولزق مثله ، فخرج على بنائه . وهو يَتْـــرَب بـــالفتح ، وفاعله تَرِبٌ ... وأما قوله : أترب إذا استغنى فمعناه أصاب من الغنى بكثرة التراب فلما كان بمعنى أيسر وأكثر وأصاب بني على (أَفْعل) بالألف) [٧]. أو أن الهمزة للسلب والإزالة [٨].

[٨].

على أن ترب لغة ، حكمهـــا الفيـــومي ، تتفـــق في شـــكلها مـــع الصـــيغة ذات الدلالة على الغنى ، وهي أترب[٩].

وهذا يفسر قول الفيروزآبادي : (ترب ، كفرح ... افتقر ... وأترب : قل ما لـــه وكثر ، ضد) [١].

---

(١) مشارق الأنوار (ترب) ١٨٤/١

(٢) العين (ترب)

(٣) غريب الحديث لأبي عبيد ٢٥٨/١ – ٢٥٩

(٤) الفصيح ٢٧٦

(٥) الجمهرة (ترب)

(٦) المقاييس والصحاح والنهاية في غريب الحديث واللسان (ترب)

(٧) تصحيح الفصيح وشرحه ١٥٣ – ١٥٤

(٨) ينظر شرح الملوكي في التصريف ٦٨ وتصحيح الفصيح ١٥٤ حاشية ٣

(٩) ينظر المصباح المنير (ترب)

٦. الجَرْس والجِرْس

قال القاضي عياض في (ج ر س) : قوله صلى الله عليه وسلم : (" لا تصحب الملائكةُ رُفْقة فيها جَرَسٌ". و" صَلْصَلَة الجَرَس " . الجرس ، بفتح الجيم والراء هنا : الجُلْجُل . وأصله من الصوت ويقال للصوت : جَرْس بالسكون وبفتح الجيم وكسرها ... واحد ، وهو الصوت الخفي ، وهذا صحيح واختار ابن الأنباري الفتح إذا لم يتقدمه حس ، فإن تقدمه حس فالكسر ، وقال : هذا كلام فصحاء العرب) [٢].

فالصيغتان عند القاضي بمعنى واحد ، وفي الصحاح (الجَرْس والجِرْس : الصوت الخفي) [٣] . ولا فرق بينهما أيضا عند السرقسطي [٤]ومثله في اللسان [٥].

ويعد من هذا أيضا ما عليه بعضهم ، أن الكسر يكون لابتاع الكلمة كلمة قبلها مكسورة . قال ابن دريد : (يقال : ما سمعت له جَرْسا أي ما سمعت له حِسًّا فإذا قالوا : ما سمعت له حِسّا ولا جِرْسا كسروا وأتبعوا اللفظ اللفظ) [٦]. ومثله في اللسان [٧] وعند القاموس [٨]. فالمسألة من باب الإتباع .

---

(١) القاموس المحيط (ترب)
(٢) مشارق الأنوار (جرس) ١٤٥/١
(٣) الصحاح (جرس)
(٤) ينظر الأفعال ٢٥٨/٢
(٥) ينظر اللسان (جرس)
(٦) الجمهرة (جرس)
(٧) ينظر اللسان (جرس)
(٨) ينظر القاموس المحيط (جرس)

وعلة اختيار ابن الأنباري تبدو في كلامه ؛ إذ الحِسّ مكسور الأول ، فإن تقدم على الجرْس ، خرج الجرْسُ على مثاله مكسورا ، وإن لم يكن هناك حس أصلا يتقدمه ، جاء الجرس مفتوحا ، فرقا بين الحالين .

٧. جَفْن وجِفن

قال القاضي عياض في (ج ف ن) : (وقوله : جَفْنَة الركب : أعظم القِصاع ... وهي جَفْنة الطعام ، معلومة بفتح الجيم ، وكذلك جَفْن السيف – غمده – وجَفْن العين مفتوحتان . وفرق قوم من أهل اللغة فقالوا : جِفْن السيف بالكسر وجَفْن العين بالفتح . قال ابن دريد : ولا أدري ما صحته) (١).

ذهب القاضي إلى أن الكلمة تقال بفتح الجيم مع السيف والعين واستأنس بكلام ابن دريد .

ويقول الخليل أيضا : (الجَفْن للسيف والعين) (٢) . وهو ما ذكره ابن فارس والجوهري (٣).

وذكر ابن منظور الكسر إذ قال : (الجَفْن : جَفْن العين ... والجَفْن : غِمْد السيف ... وقد حكي بالكسر، قال ابن دريد : ولا أدري ما صحته) (٤).

وذكره الفيروزآبادي أيضا دون تعليق عليه في قوله : (الجَفْن : غطاء العين من أعلى وأسفل ... وغمد السيف ، ويكسر) (٥).

---

(١) مشارق الأنوار (جفن) ١٥٩/١ ، وينظر كلام ابن دريد في الجمهرة (جفن)

(٢) العين (جفن) .

(٣) ينظر المقاييس والصحاح (جفن) .

(٤) اللسان (جفن) .

(٥) القاموس المحيط (جفن) .

ويظهر أن من كسر الجيم مع جِفْن السيف ، بناه على ذلك ؛ لأنه بمعنى غِمْد فجاء على وزنه ، مكسور الأول .

٨. الجَهْد والجُهْد

قال القاضي عياض في (ج هـ د) : (قال ابن عرفة : الجُهْد بالضم : الوسع والطاقة ، والجَهْد بالفتح : المبالغة والغاية ... وروي عن الشعبي : الجهد بالفتح في العمل ، وبالضم في القنية يعني العيش [١] . وقال غيره : إذا كان من الاجتهاد والمبالغة ففيه الوجهان ، قال ابن دريد : وهما لغتان فصيحتان بلغ الرجل جَهْده وجُهْده [٢]. وفي العين : الجهد بالضم : الطاقة وبالفتح : المشقة [٣] . وقال يعقوب : الجَهْد والجُهد لغتان قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ) [٤] قرئ بالوجهين[٥]) [٦] . الفتح قراءة الأعرج وعطاء ومجاهد[٧].

ومجاهد[٧].

---

(١) في البحر المحيط ٤٦٩/٥ : (قال الشعبي : بالضم : القُوت وبالفتح في العمل) .

(٢) ينظر الجهرة (جهد) .

(٣) الذي في العين (جهد) : (الجَهْد : ما جَهَدَ الإنسان من مرض أو أمر شاق فهو مَجْهُودٌ والجُهْد لغة بهذا المعنى ، والجُهْد : شيء قليل يعيش به المُقِلُّ على جَهْد العيش ، والجَهْد : بلوغك غاية الأمر الذي لا تألو عن الجهد فيه ... وجَهَدْتُ فلانا : بلغت مشقته) . وينظر التهذيب واللسان (جهد).

(٤) التوبة من الآية ٧٩.

(٥) ذكر ابن السكيت ذلك في الإصلاح المنطق ٩٢-٩٣ في (باب فَعْلٍ وفُعْلٍ باتفاق معنى) ولعل القاضي أراد ذلك ؛ ؛ فليس فيه ما حكاه عنه من أنها لغتان ، أو أنه وقع في نسخة له من الإصلاح .

على أن ابن السكيت ذكرهما أيضا في (باب فُعْل وفَعْل باختلاف معنى) إصلاح المنطق ١٢٩ . وهو من باب استيفاء جوانب المسألة.

(٦) مشارق الأنوار (جهد) ١٦١/١.

(٧) شواذ القرآن لابن خالويه ٥٩.

أشار القاضي إلى خلاف العلماء في (الجَهْد والجُهْد) هل هما بمعنى واحد أو أنهما مختلفان ؟ ونقل في هذا السياق عن ابن دريد أنهما لغتان فصيحتان . وممن أشار إلى جواز أن يكونا لغتين بمعنى واحد : ابن درستويه [١] والسرقسطي [٢] وأبو حيان [٣] ويقول الراغب : (الجَهْد والجُهْد : الطاقة والمشقة) [٤] .

وممن فرق بينهما بأن الجهد بالضم الطاقة ، وبالفتح المشقة : ابن قتيبة [٥] وابن القوطية [٦] وابن الأثير [٧].

وذهب بعض العلماء إلى أن الكلمة تقال بالضم والفتح إذا كانت بمعنى الطاقة ، وبالفتح فقط إذا كانت بمعنى المشقة . (قال الفراء : الجُهْد الطاقة ، يقال : جُهْدي أي طاقتي . وتقول : اجْهَدْ جَهْدَك) [٨] . وذكر أن (الجُهد لغة أهل الحجاز ... ولغة غيرهم الجَهْد) [٩] . فالضم والفتح لغتان في الطاقة .

ويقول الجوهري أيضا : (الجَهْد والجُهْد : الطاقة ... والجَهْد : المشقة يقال : جَهَد دابته وأجهدها إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها) [١٠].

وفي النهاية لابن الأثير : (وقيل : هما لغتان في الوسع والطاقة ، فأما في المشقة والغاية فالفتح لا غير) [١١].

---

(١) ينظر تصحيح الفصيح ٢٦٢ .
(٢) ينظر الأفعال ٢٤٦/٢.
(٣) ينظر البحر المحيط ٤٦٩/٥.
(٤) المفردات (الجهد).
(٥) ينظر أدب الكاتب ٣٠٨ ، والبحر المحيط ٤٦٩ .
(٦) ينظر الأفعال ٤٧.
(٧) ينظر النهاية واللسان (جهد).
(٨) إصلاح المنطق ٩٣ .
(٩) معاني القرآن له ٤٤٧/١.
(١٠) الصحاح (جهد).
(١١) النهاية (جهد) وعنه في اللسان (جهد).

وفي المصباح كذلك : (الجهد بالضم في الحجاز . وبالفتح في غيرهم : الوسع والطاقة ، وقيل: المضموم الطاقة والمفتوح المشقة ، والجَهْد بالفتح لا غير : النهاية والغاية) [١].

وكأنهم خصوا ما هو أثقل بالفتحة إذ هي أخف الحركات [٢] ، إذ المشقة فوق قدر الطاقة ، وهو أثقل لاشك ؛ ليحصل نوع من التعادل الصوتي .

٩. الحَبّ والحِبّ

قال القاضي عياض في (ح ب ب) : (قال النضر بن شميل : الحِبَّة بكسر الحاء اسم جامع لحبوب البقل التي تَنْتَثِرُ إذا هاجت الريح فإذا مُطرت من قابل نبتت . والحَبَّة من العنب حَبّة بالفتح ... وقال الحربي : ما كان من النبت له حَبٌّ فاسم ذلك الحبِّ الحِبَّةُ قال غيره : فأما الحنطة ونحوها فهو الحَبّ لا غير ، وقالوا : الحِبَّة فيما هو حبوب مختلفة) [٣].

فرق العلماء بينهما بوجوه ، وقد ذكرها وزيادة ابن منظور [٤] والفيروزآبادي [٥] وممن فرق بينهما : ابن دريد في قوله : (الحَبُّ واحده حَبّة وهي الواحدة من حَبّ البر والشعير وما أشبهه ، والحِبة : ما كان من بَزْر العُشب)[٦].

وابن فارس بقوله : (الحَب معروف من الحنطة والشعير . فأما الحِبّ بالكسر فبزور الرياحين) [٧].

---

(١) المصباح المنير (جهد).
(٢) الكتاب ١٦٧/٤
(٣) مشارق الأنوار (حبب) ١٧٤/١
(٤) ينظر اللسان (حبب).
(٥) ينظر القاموس المحيط (حبب).
(٦) الجمهرة (حبب).
(٧) المقاييس (حبب).

والجوهري إذ قال : (الحَبّة : واحدة حَبّ الحنطة ونحوها من الحبوب ... والحِبّة بالكسر بزور الصحراء مما ليس بقوت) [١].

والراغب حيث قال : (الحَبّ والحَبّة يقال في الحنطة والشعير ونحوهما من المطعومات . والحِبّ والحِبّة في بُزُر الرياحين قال الله تعالى : (كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ) [٢] ... وفي الحديث : كما تنبت الحِبّة في حميل السيل) [٣] ومثله الفيومي [٤] . فما كان من الحبوب يُطعم يقال له : حَبّ وجعلوا وجعلوا منه الآية السابقة، وما ليس يطعم كبزور الرياحين ونحوها يقال له : حِبّ ، وعدوا منه الحديث السابق .

وذكر الزمخشري أن (الحِبّة بزور الصحراء ، عن الفراء ... وأما الحنطة ونحوها فحَبّ لا غير . وقيل : هي جمع حَبّ كتَوْر وثِيرة ، وشيخ وشِيخة) [٥].

١٠. الحَجّ والحِجّ

قال القاضي عياض في (ح ج ج) : (قوله : سارق الحَجيجُ : هم الحُجّاجُ وكذلك الحجُّ بالكسر ، وأما الحَجُّ بالفتح ، فالعمل فيه ، وأصله : القصد والإتيان مرة بعد أخرى)[٦].

أخرى)[٦].

فسر القاضي كلمة الحجيج في الحديث ، فذكر أنها تعني الحجاج ، وأنه يعبر عنهم أيضا بالحِجّ بكسر الحاء ، ثم ذكر أن فتح حاء الكلمة يؤدي معنى آخر . وقال ابن دريد (الحَجّ : مصدر حَجَّ البيت يَحُجُّ حَجّاً . والحِج بكسر الحاء :

---

(١) الصحاح (حبب).

(٢) البقرة من الآية ٢٦١ .

(٣) المفردات (حبب) والحديث في مسند الإمام أحمد ٢٧٦/٢ والحَمِيل : بَطْن السيل . اللسان (حمل).

(٤) ينظر المصباح (حبب).

(٥) الفائق في غريب الحديث ٢ / ٣٢٧ .

(٦) مشارق الأنوار (حجج) ١٨١/١.

الحُجّاج لغة نجدية) [١]. وذكر ابن منظور أيضا أن (الحِجّ : الحُجّاج... والحَجُّ اسم العمل) [٢].

١١. الحِجْر والحَجْر

قال القاضي عياض في (ح ج ر) : (وقوله : فأجلسه في حَجْره ... هذا بفتح الحاء وكسرها وسكون الجيم ، وهو الحِضْن والثوب . وقوله : " في حَجْر ميمونة " ، و" يتيمين في حَجْر سعد بن زُرارة " ، و " في حَجْر عائشة " ، هذا كله بالفتح لا غير ، أي في تربيتهم وتحت نظرهم وفي حضانتهم ، فإذا كان المراد به الثوب والحضن فبالوجهين ، وإن أريد به الحضانة فالفتح لا غير ، وإذا أريد به المنع فالفتح في الصدر والكسر في الاسم لا غير)[٣].

ويدل ذلك على إدراك دقيق من القاضي للفروق اللغوية ، وتمتعه بحس مرهف ، وفقه لغوي واسع ، وتشير المعاجم إلى ذلك ، ففي اللسان : (الحَجْر بالفتح والكسر : الثوب والحِضْن ، والمصدر بالفتح لا غير) [٤] . ويقول الفيومي : (حَجَرَ عليه حَجْراً من باب قتل : منعه من التصرف ... وحَجر الإنسان بالفتح وقد يكسر : حِضْنه وهو ما دون إبطِه إلى الكَشْح ، وهو في حَجْره أي كنفه وحمايته) [٥].

١٢. أَدْلَجَ وادَّلَجَ ، الإدْلاج و الإدّلاج ، الدَّلْجة ، والدُّلْجة

قال القاضي عياض في (د ل ج) : (قوله : عليكم بالدُّلْجَة وبشيء من الدُّلْجَة بضم الدال وسكون اللام ، كذلك هي الرواية وهي صحيحة ، وتقال بفتح الدال وبضمها ، وبفتح اللام أيضا وكذلك قوله : فادَّلجوا وفادلج .

---

(١) الجمهرة (حجج) .
(٢) اللسان (حجج) .
(٣) مشارق الأنوار (حجر) ١٨١/١.
(٤) اللسان (حجر) .
(٥) المصباح المنير (حجر) .

واختلف أرباب اللغة في هذا وفي الادلاج ، هل يستعمل ذلك كله في الليل كلـــه ؟ وبينهم اختلاف ، فقيل : إن ذلك يستعمل في سائر الليل كله ، وإن الدَّلْجة والدُّلْجة ســـواء فيهما وأنهما لغتان.

وأكثرهم يقول ادَّلج بتشديد الدال : سار آخر الليل ، وأَدْلَج بتخفيفها : الليل كله ، يقال : ساروا دُلْجة من الليل ، أي ساعة ، والدَّلج بفتح اللام والادْلاج بسكون الدال والدَّلجة بفتح الدال : سير الليل كله . والادّلاج بتشديد الدال والدُّلجة بضم الدال : سير آخـــره وفي الهجرة : فيدَّلج من عندهما بسَحَر ، بتشديد الدال) [١].

أشار القاضي في هذا الكلام إلى أن أكثر اللغويين يفرقون بـــين هـــذه الصـــيغ ذات الأصل الواحد ، فيقولون: بعضها يستعمل في سير الليل كله ، في أي وقت ، وهو : (أَدْلَـــجَ والدَّلَجُ والإدْلاج والدَّلْجة) .

وبعضها يستعمل في سير آخر الليل ، وهو (ادَّلج والادّلاج والدُّلْجَة) . وقد قـــال بهذا الفرق نفسه : ابن السكيت [٢]وابن قتيبة[٣] وابن فارس[٤] والفيومي[٥] .

وفرق ثعلب بينها أيضا ولكن يقال : (أَدْلَجْتُ إذا سرت من أول الليل وادّلَجْتُ إذا سرت من آخره) [٦]. ومثله الجوهري [٧]وابن الأثير[٨].

وهؤلاء جميعا يفرقون بين أَدْلَج وادّلج وتصاريفهما . وعليه (معظم أهل اللغة) [٩].

---

(١) مشارق الأنوار (دلج) ١ /٢٥٧

(٢) ينظر إصلاح المنطق ٢٥٤ وعنه في اللسان (دلج) .

(٣) ينظر أدب الكاتب ٢٩ – ٣٠ .

(٤) ينظر المقاييس (دلج) .

(٥) ينظر المصباح المنير (دلج) .

(٦) الفصيح ٢٧٤ .

(٧) ينظر الصحاح (دلج) .

(٨) ينظر النهاية في غريب الحديث (دلج) .

(٩) شرح الفصيح لابن هشام اللخمي ٨٤ .

ويرى بعض اللغويين أن ذلك يستعمل في سائر الليل كله وأن الدَّلْجة والدُّلجة لغتان ، كما ذكر القاضي عياض . ويقول ابن قتيبة : (ومن الناس من يجيز الدَّلْجة والدُّلجة في كل واحد منهما ، كما يقال : بَرْهة من الدهر وبُرهة) [١].

وفي اللسان أيضا : أن الفرق (بين أدْلَجْت وادَّلجْت قول جميع أهل اللغة إلا الفارسي، فإنه حكي أن أَدْلَجْت وادّلَجْتُ لغتان في المعنيين جميعا) [٢].

وابن درستويه ممن يرون أنهما جميعا بمعنى سير الليل ، في كل وقت من أوله ووسطه وآخره ، وأن الافتعال (الادّلاج) لا يغير الوقت عن وقت الإفعال (الإدْلاج) وأن ما استدلوا به من قول الأعشى (من الخفيف):

وادِّلاجٍ بَعْد المَنَامِ وتَهْجِيـ ـرٍ وقُفٍّ وسَبْسَبٍ ورِمَالِ[٣]

وقول زهير (من الطويل):

بَكَرن بُكُوراً وادّلَجْنَ بسُحْرَةٍ فهُنَّ ووَادي الرَّسِّ كاليدِ في الفمِ[٤]

لا دلالة فيهما ؛ لأن كل واحد منهما وَصَفَ ما فعل هو خاصة دون ما فعل غيره ، ولم يصف كل ادلاج ، وفي قول زهير : بسحرة دليل على أنه قد يكون بغيرها ، وإلا فذكره بسحرة لا معنى له [٥] . وعلى ذلك أيضا حديث الهجرة السابق .

---

(١) أدب الكاتب ٣٠ .

(٢) اللسان (دلج) .

(٣) ديوانه ١٦٣ ، والقُفُّ : ما ارتفع من الأرض وغلظ . والسَّبْسَبُ : الأرض المستوية البعيدة . اللسان (قفف) و(سبسب) .

(٤) ديوانه ١٠٧ ، وفيه : (اسْتَحَرْن) بدل (وادَلَجْنَ) . و(للفم) بدل (في الفم)

(٥) ينظر تصحيح الفصيح ١٢٣ – ١٢٤ و ١٣٧ ، وشرح الفصيح لابن هشام اللخمي ٨٤

ومما رد عليهم به أيضا (أن العرب تسمى (القُنفُد) مُدْلِجاً لأنه يَدْرُجُ بالليل ويتردد فيه ، لا لأنه لا يدرج إلا في أول الليل أو في وسطه أو في آخره أو فيه كله ، ولكنه يظهر بالليل في أي أوقاته احتاجَ إلى الدُّروج ، لطلب علف أو ماء أو غير ذلك) [١]. وإذا أضيفت هذه الحجج القوية إلى ما ثبت عند بعضهم أنهما لغتان ترجح لدي أنه لا فرق بينهما .

١٣. الذَّكاء والذَّكا

قال القاضي عياض في (ذ ك و) : (وقوله : " أَحْرَقَنِي ذَكَاؤُها " أي شدة حرها والتهابها ، كذا هو بفتح الذال ممدود عند الرواة ، والمعروف في شدة حر النار القصر ، إلا أن أبا حنيفة ذكر فيه المد ، وخطأه فيه على بن حمزة في ردوده ، يقال : ذَكَت النار تَذْكُو ذَكًا وذُكُوّا ومنه ذَكَاء الطيب : انتشار ريحه ، وأما الذَّكاء ، ممدود فتمام السِّنّ وذَكَاءُ القَلْب)[٢].

أثبت القاضي رواية الحديث ، كما هي عند الرواة ، وتوقف أمامها لما هو معروف في اللغة ، إذ كل صيغة منهما لها معنى ، فهي بالقصر تستعمل في شدة حر النار ، وبالمد تستعمل في تمام السن والفطنة ، وأما ما حكاه أبو حنيفة فقد خطأه فيه علي بن حمزة البصري (ت ٣٧٥ هـ).

نعم هذا على المشهور في اللغة من استعمالهما ووجود فرق بينهما قال ابن دريد : (ذَكَا النار مقصور ، وذَكَاء السن ممدود) [٣] . ومثله عند ابن القوطية [٤] والجوهري [٥].

ولكن ليس خطأ ما حكاه أبو حنيفة الدينوري ؛ فقد حكاه الزمخشري أيضا إذ قال : (ذَكَت النار تَذْكُو ذَكَاء وأصابه ذَكَاءُ النار ... وفيه ذَكَاءٌ : فطنة وتوقد) [١].

---

(١) تصحيح الفصيح ١٣٨ . وينظر اللسان (قنفد) ففيه ما ذهب إليه ابن درستويه من علة التسمية

(٢) مشارق الأنوار (ذكو) ١ / ٢٧٠

(٣) الجمهرة (ذكا)

(٤) ينظر الأفعال ١٢٢

(٥) ينظر الصحاح (ذكا)

وقال ابن الأثير : (وفي حديث ذكر النار قَشَبَني ريحُها وأحرقني ذَكاؤها . الذَّكاء : شدة وهج النار يقال : ذكَيْتُ النار إذا أتممت إشعالها ورفعْتها ... والذَّكا : تمام إيقاد النار مقصور يكتب بالألف) [٢]. فهناك معنى عام يجمع بينهما وهو تمام الشيء .

ونقله الفيروزآبادي عن الزمخشري . قال : (ذَكَت النار ذُكُوّا وذَكاً وذَكَاءً بالمد ، عن الزمخشري ، واسْتَذْكت : اشتد لهبها ... والذكاء : سرعة الفطنة) [٣] . وآخذ المعجم الوسيط بهذا [٤].

ويكفي استعمال النبي – صلى الله عليه وسلم – لها طالما ثبتت الرواية .

١٤. الذِّلّ والذُّلّ

قال القاضي عياض في (ذ ل ل) : (قوله : " كم من عِذْق مُذَلّل " أي مُدلَّل ، كما قال تعالى (وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً)[٥] ... والنخل قد ذُلِّلت فهي مطوقة بثمرها ، وهو تفسيره ، والاسم منه الذِّل بالكسر وأصله اللِّين؛ لأنه من ثقله بثمره لان وتدلَّى وهو بالكسر ضد (الصعوبة) [٦] ، وبالضم ضد العِزِّ) [٧].

يلاحظ في ذلك أن الحركة القصيرة (الكسرة – الضمة) لها وظيفة دلالية ؛ حيث اختلفت المعنى باختلافها في الصيغتين . ولما قرر القاضي ذلك فرق بينهما باعتبار الضد أو النقيض ، وطالما أن الصعوبة غير العز ؛ فالذِّل غير الذُّل.

---

(١) أساس البلاغة (ذكا)

(٢) النهاية واللسان (ذكا)

(٣) القاموس المحيط (ذكا)

(٤) ينظر المعجم الوسيط (ذكا)

(٥) الإنسان من الآية ١٤

(٦) في المطبوع من الكتاب (اللِّين) وهو خطأ . ولا أظنه من المؤلف ؛ لكلامه السابق عليه مباشرة ، إلا أن يكون سهوا . والصواب الذي أثبته من كتب اللغة .

(٧) مشارق الأنوار (ذلل) ٢٧٠/١ .

وقد نبه اللغويون على هذا الفرق ، حتى لا يقع الخلط بينهما في الاستعمال ، كما في قول ابن السكيت : (الذِّل : ضد الصعوبة . والذُّل: ضد العز) [١]. وهو ما ذكره كثير غيره[٢] ، ويعد من بلاغة اللغة العربية ، كما يقول ابن فارس (فالذُّل : ضد العز. وهذه مقابلة في التضاد صحيحة تدل على الحكمة التي خُصت بها العرب دون سائر الأمم لأن العِزَّ من العَزَاز وهي الأرض الصلبة الشديدة . والذِّل خلاف الصعوبة) [٣].

ومن حكمة اللغة كذلك اختيار الحركة المناسبة للمعنى المناسب ، فالضمة أثقل من الكسرة [٤] ؛ لذا جاءت مع ما هو أقوى . وقد أشار إلى ذلك ابن جني في قوله تعالى (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) [٥]. حيث قرأ جماعة بكسر الذال . قال : (الذِّل في الدابة : ضد الصعوبة ، والذُّل للإنسان وهو ضد العز ، وكأنهم اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان والكسرة للدابة ؛ لأن ما يلحق الإنسان أكبر قدرا مما يلحق الدابة ، واختاروا الضمة لقوتها للإنسان والكسرة لضعفها للدابة) [٦].

ويقول أبو حيان في توجيه قراءة الكسر الشاذة هذه (وذلك على الاستعارة في الناس؛ لأن ذلك يستعمل في الدواب في ضد الصعوبة ، كما أن الذل بالضم في ضد العز من الناس)[٧]. والمعنى على الضم: كن كالمقهور لهما، وعلى الكسر : لِنْ وانقد لهما [٨].

١٥. رجوت ورجيت

---

(١) إصلاح المنطق ٣٣ .

(٢) ينظر أدب الكاتب ٣١٥ ، والمقاييس ، والصحاح ، والغريبين (ذلل) ، وتثقيف اللسان ٣٤٥ ، والمفردات واللسان (ذلل) .

(٣) المقاييس (ذل) .

(٤) الكتاب ٤ / ٣٧ .

(٥) الإسراء من الآية ٢٤ .

(٦) المحتسب ١٨/٢ .

(٧) البحر المحيط ٣٨/٧.

(٨) ينظر المفردات (ذل) .

قال القاضي عياض في (رج و) : (وقوله : " إلا رَجاءَتك أن أكون من أهلـــها ، ممدود ... يقال في الأمل : رَجَوْتُ ورَجَيْت بالواو والياء ، وفي الخوف بالواو لا غير) [١].

وهو ما تنبه عليه كتب الأفعال ، قال ابن القوطية : (رَجَوْتُ الشيء ورَجَيْته رجاء : ضد يئست منه ، ورَجَوْتُه رجْواً : خفته ؛ قال الله عز وجل : " فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّـــهِ " [٢] أي يخافه) [٣] وأورده السرقسطي ، مع إنشاء شاهد شعري على منوال الآية [٤].

١٦. رصد وأرصد

قال القاضي عياض في (ر ص د) : (قوله : " فَأَرْصَدَ الله له مَلَكًا " أي أعده له . وقوله : " إلا دينار أرْصُدُه لدَيْني " أي أعده بضم الصاد وفتح الهمزة ، وقيل في هذا : أرصد أيضا رباعي ، يقال منه : رصد وأرصد ، قال صاحب الأفعال : " رصدته وأرصدته بـــالخير والشر : أعددته له " [٥] . وقال غيره : رصدت : ترقبت وأرصدت: أعددت ، قـــال الله : (وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ) [٦] وقال : (شِهَاباً رَّصَداً) [٧]) [٨].

يدل هذا الكلام على أن القاضي عياضا لا يفرق بين رصد وأرصد ، فمعناهما واحد وهو أعد ، وأن مذهبه كمذهب صاحب الأفعال ابن القوطية ، والزجاج هو الآخر يســـوي بينهما فقد ذكرهما في (باب فَعَل وأَفْعل والمعنى واحد) [٩].

---

(١) مشارق الأنوار (رجو) ٢٨٣/١ .
(٢) الكهف من الآية ١١٠.
(٣) الأفعال ١٠٥ .
(٤) ينظر الأفعال ٥٩/٣ – ٦٠.
(٥) الأفعال لابن القوطية ٩٦–٩٧.
(٦) التوبة من الآية ١٠٧.
(٧) الجن من الآية ٩.
(٨) مشارق الأنوار (رصد) ٢٩٣/١.
(٩) فعلت وأفعلت ٤٠

ثم يحكي القاضي أن هناك من يفرق بينهما ، مستأنسا بالاستعمال القرآني ، فالإرصاد في الآية الأولى يعني الإعداد ، والرَّصد في الآية الأخرى يعني المراقِب إذ (الراصِد للشيء : المراقب له تقول : رَصَدَه يَرْصُدُه رَصْدا ورَصَدا ... والرَّصَد : القوم يرصدون كالحَرَس يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث) [١] . والمذكر .

ويحكى هذا الفرق عن الكسائي والأصعمي (روى أبو عبيد عن الأصمعي والكسائي : رصدت فلانا أرْصُده إذا ترقبته . وأرصدت له شيئا أُرْصِده : أعددت له) [٢] . وقال به ابن دريد [٣] ، والفيروزآبادي [٤] وابن حجر [٥].

وعندي أن الإعداد من الترقب ؛ ولذلك قال الزمخشري : (تقول : رصدته ، إذا قعدت له على طريقه تترقبه ، وأرصدته له العقوبة ، إذا أعددتها له ، وحقيقته جعلتها له على طريقه كالمترقبة له) [٦] . ومن ثم فسر الإرصاد في الآية بمعنى الترقب أو الانتظار [٧]. كما فسر بمعنى الإعداد [٨] . وأخذ بهذا واضع معجم ألفاظ القرآن الكريم [٩].

١٦. رَابَني وأَرابَني

جاء في (ر ي ب) : ("وكاد بعض الناس يرتاب " . الريب : الشك ومنه دع ما يريبك إلى مالا يريبك ، يقال : رابني الأمر وأرابني ، إذا اتهمته بشيء وأنكرته ، لغتان عند

---

(١) الصحاح (رصد)
(٢) اللسان (رصد)
(٣) ينظر الجمهرة (رصد)
(٤) ينظر القاموس المحيط (رصد)
(٥) ينظر فتح الباري٦٨/٥
(٦) الفائق في غريب الحديث ٦٢/٢
(٧) ينظر معاني القرآن للزجاج ٢٣٤/٥ ، وتفسير البيضاوي ٤٢١/١
(٨) ينظر البحر المحيط ٥٠٣/٥
(٩) ينظر المعجم (رصد)

الفراء وغيره . وفرق أبو زيد بين اللفظين ، فقال : رابني إذا علمت منه الريبة وتحققتها ، وأرابني إذا ظننت به ذلك وتشككت فيه ، وحكي عن أبي زيد مثل قول الفراء أيضا)[١].

وقد نقل الفيومي هذا الفرق بين الصيغتين عن أبي زيد [٢] . وقال به الهروي [٣] والفيروز آبادي [٤].

وحكي القاضي أنهما لغتان عند الفراء [٥]وغيره . وهما كذلك عند الخليل [٦]وابن دريد [٧]والجوهري والفيومي وقد عزيا الصيغة بالألف لهذيل[٨] .

ولا فرق بينهما عند أبي عبيدة [٩]وابن القوطية [١٠]والسرقسطي [١١] والراغب[١٢] وابن الأثير[١٣] .

وأميل إلى هذا الرأي الأخير ؛ لنص طائفة من العلماء على أنهما لغتان ، وحتى أبو زيد – الذي فرق بينهما – حكي عنه أنهما بمعنى واحد أيضا ، وهو في الوقت نفسه رأي كثير من اللغويين .

---

(١) مشارق الأنوار (ريب) ٣٠٤/١

(٢) المصباح المنير (ريب)

(٣) الغريبين (ريب)

(٤) القاموس المحيط (ريب)

(٥) وفي الغريبين (ريب) أيضا : (... وقال الفراء : راب وأراب بمعنى واحد)

(٦) العين (ريب) وينظر اللسان (ريب)

(٧) الجمهرة (ريب)

(٨) الصحاح والمصباح (ريب)

(٩) فعلت وأفعلت للزجاج ٤٢

(١٠) الأفعال ٩٨

(١١) الأفعال ١٦/٣

(١٢) المفردات (ريب)

(١٣) النهاية واللسان (ريب)

١٧. رَامَ يَرُوم ورَام يَرِيمُ

قال القاضي عياض في (ر ي م) : (قوله : " فما رام رسول الله مكانه " و"لم يَرُم حمص " أي لم يبرح ولا فارق ، يقال فيه : رَامَ يَرِيمُ رَيْماً ، وأما من طلب الشيء فرَامَ يَرُومُ رَوْمًا)[١].

وقال بهذا الفرق أيضا ابن القوطية [٢]والهروي [٣]والسرقسطي [٤].

١٨. زَهَا وأَزْهَى

قال القاضي عياض في (ز هـ و) : (قوله : " نَهَى عن بيع الثمار حتى تَزْهُو وحتى تُزْهِي " ، جاء باللفظين في الحديث ، أي تصير زَهْوًا ، وهو ابتداء إرطابها وطيبها ، يقال : زَهَت الثمرة تَزْهُو ، وأَزْهَت تُزْهِي إذا بدا طيبه وتلونه حكاه صاحب الأفعال وغيره ، وأنكر غيره الثلاثي ، وقال : إنما يقال : أزهت لا غير . وفرق بعضهم بين اللفظين ، وقال ابن الأعرابي: زهت الثمرة إذا ظهرت وأزهت إذا احمرت واصفرت ، وهو الزَّهُو والزُّهو معاً بالفتح والضم)[٥].

الثلاثي الذي حكاه ابن القوطية صاحب الأفعال لغة : قال (زها التمر زَهْوًا لغة وأزهى – المعروف – بدت فيه الحمرة أو الصفرة) [٦]. وعنه في الأفعال للسرقسطي [١] .

---

(١) مشارق الأنوار (ريب) ٣٠٤/١

(٢) الأفعال ٢٥٧ – ٢٥٨

(٣) الغريبين (ريم)

(٤) الأفعال ٩٩/٣ – ١٠٠

(٥) مشارق الأنوار (زهو) ٣١٢/١

(٦) الأفعال ١٣٨

ويقول الجوهري أيضا : (زها النخل زهْوًا ، وأزهى أيضا لغة حكاها أبو زيد و لم يعرفها الأصمعي) [٢].

وأثبتها آخرون أيضا ، و لم يفرقوا بينها وبين أزهى في المعنى ، ولكن من غير نص على أنها لغة ، كما في قول الزجاج مثلا : (زها النخل وأزهى إذا بدت فيه الحمرة والصفرة)[٣].

وفرق ابن الأعرابي بينهما – فيما نقله عنه القاضي [٤] – ووافقه في ذلك بعضهم ، كابن الأثير [٥] وابن حجر[٦] وكأن الهمزة لتمكن كمال الظهور بالاحمرار والاصفرار ، كما في شرقت الشمس وأشرقت [٧].

ويبقى أن عدم معرفة الأصمعي بهذه اللغة لا ينفي ثبوتها ؛ فهناك من علماء اللغة من وقفوا عند حد السماع، فكانوا لا يجيزون غير اللغة التي وعتها أسماعهم ، وعلى رأسهم أبو عمر بن العلاء وتلميذه الأصمعي [٨].

١٩. الضَّحْوُ والضُّحَى والضَّحاء

قال القاضي عياض في (ض ح و) : (وقوله : " قائلة الضَّحَاء " بفتح الضاد ممدود كذا الرواية و" سبْحَة الضُّحى " بالضم مقصور . قيل : هما بمعنى ، وأَضْحَاء النهار : ضوءه . وقيل : المقصور المضموم هو أول ارتفاعها ، والممدود حين حرها إلى قريب من نصف النهار

---

(١) الأفعال ٤٤٢/٣

(٢) الصحاح (زها)

(٣) فعلت وأفعلت ٤٥ ، وينظر الأفعال للسرقسطي ٤٤٢/٣ ، والقاموس المحيط (زها)

(٤) وعنه أيضا في الغريبين واللسان (زها)

(٥) ينظر النهاية واللسان (زها) ، وينظر المصباح المنير (زها) فقد حكي هذا الرأي

(٦) ينظر فتح الباري ٤ / ٤٦٥

(٧) ينظر تصحيح الفصيح لابن درستويه ١٢٥

(٨) ينظر الأصمعي اللغوي د/ عبد الحميد الشلقاني ١٠٣

، وقيل : المقصور حين تطلع الشمس والممدود إذا ارتفعت ، وقيل : الضَّحْو : ارتفاع النهار ، والضحى فوق ذلك . والضَّحَاء إذا امتد النهار) [١].

هذه الصيغ الثلاث أصلها واحد ، واختلف دلالالتها باختلاف أشكالها على رأي من يقول بذلك ، ومن هؤلاء:

- أبو عبيد القاسم بن سلام ، إذ يقول في الفرق بين الضحى والضحاء : (الضحاء: ارتفاع الشمس الأعلى – وهو ممدود مذكر – والضحى مؤنثة مقصورة ، وهي حين تشرق الشمس) [٢].

- وابن قتيبة في قوله (الضحى : من حين تطلع الشمس إلى ارتفاع النهار ، وبعد ذلك الضحاء – ممدود – إلى وقت الزوال) [٣].

- وابن مكي الصقلي حيث قال : (الضحى من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيض الشمس جدا . فأما الضحاء بالفتح والمد ، فمذكر ، وهو من انقضاء الضحى إلى قريب من نصف النهار) [٤].

- وجمع الجوهري الصيغ الثلاث وفرق بينها في قوله : (ضَحْوَة النهار بعد طلوع الشمس ، ثم بعده الضحى ، وهي حين تشرق الشمس مقصورة ... ثم بعده الضحاء ، ممدود مذكر ، وهو عند ارتفاع النهار الأعلى) [٥] . وعنه في اللسان مع نقول أُخَر تتفق مع ما ذكر [٦].

---

(١) مشارق الأنوار (ضحو) ٢ / ٥٥ – ٥٦

(٢) غريب الحديث ٣٣٥/٢

(٣) أدب الكاتب ٩٤ – ٩٥

(٤) تثقيف اللسان ١٧٨

(٥) الصحاح (ضحا)

(٦) ينظر اللسان (ضحا)

ويلاحظ فيما تقدم أن هذه الصيغ قد جاءت مناسبة لأوقاتها والكمية التي تدل عليها؛ فقد عبروا عن الوقت القليل بعد طلوع الشمس بالضحو ، وما فوقه بالضحى ، وما فوقها بالضحاء ، والصوت اللغوي الأخير في الضحو أقصر منه في الضحى ، والضحاء أكثر حروفا وأطول زمنا .

ولم يفرق الهروي والزمخشري بين الضحى والضحاء [١] . والأول أولى لما تقدم .

٢٠. طاهر وطاهرة

قال القاضي عياض في (ط هـ ر) : (وقوله : " امرأتي طاهر " . قال ابن السكيت : بغير هاء في الحيض، وبالهاء من العيوب) [٢].

وقال به ابن قتيبة أيضا ، وعلل له بأنه (للفرق بين المذكر والمؤنث ، فيقال : امرأة طاهر من الحيض ، وامرأة طاهرة نقية من العيوب ؛ لأنها منفردة بالطهر من المحيض لا يَشْرَكها فيه المذكر ، وهو يشركها في الطهارة من العيوب) [٣]. وذكر هذا الفرق أيضا الجوهري وابن منظور والفيومي [٤].

والواقع اللغوي لا يؤيد هذا التعليل ؛ لأن (هذه الصفات التي تجري على المؤنث بغير هاء إنما كان ذلك فيها؛ لأنها أريد بها النسب ، ولم تجر على الفعل ، فإذا جرت على الفعل ثبتت فيها تاء التأنيث ، تقول : طُلِّقت المرأة فهي طالقة . قال الأعشى * **أيا جارتي بيني فإنك طالقةْ** [٥] *) [٦] .

---

(١) ينظر الغريبين (ضحا) ، والفائق في غريب الحديث ٣ / ٢٤٤

(٢) مشارق الأنوار (طهر) ٣٢٢/١ ، وينظر قول ابن السكيت في إصلاح المنطق ٣٤١

(٣) أدب الكاتب ٢٩٥

(٤) ينظر الصحاح واللسان والمصباح (طهر)

(٥) من الطويل وتمامه : * كذَاكِ أُمورُ الناسِ غادٍ وطارقةْ * الديوان ١٢٢

(٦) شرح الفصيح لابن هشام اللخمي ٢٠٠

حيث (أراد تطلقين ، و لم يكن أوقع بعدُ طلاقها ، وإنما أوعدها ، ولو كانت قد طُلقت لما قال لها : بِينِي لأن البائن لا يؤمر بأن يبين) [١].

أي أنه (إذا جرى الاسم على الفعل لزمه الفرق بين المذكر والمؤنث كما كان كذلك في الفعل ، وإذا لم يكن جاريا على الفعل كان بمنزلة المنسوب ، فحائض بمعنى حائضي أي ذات حيض ... وليس ذلك على معنى حاضت ... إذا لو أريد ذلك لأتوا بالتاء وقالوا : حائضة غدا وطالقة غدا ؛ لأنه شيء لم يثبت ، وإنما هو إخبار على طريق الفعل ، كأنك قلت : تحيض غدا ، وتطلق غدا ومنه قوله تعالى " يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ")[٢]. كل هذا وغيره يرجح هذا المذهب[٣] .

٢١. الطَّهُور والطُّهُور

وقال القاضي عياض في (ط هـ ر) أيضا : (قوله : الطهور للوضوء ... وهو إذا أريد به الماء مفتوح عند أكثرهم ، ويكون الوضوء بعده برفع الواو ، ومثله فجئته بطَهُور ، وهو الطَّهُور ماؤه ، وأضع له طَهُوره ، كله هنا الماء ، وكذلك الوضوء ، وبالضم فيها الفعل)[٤].

وممن فرق بينهما بهذا ابن دريد ، فقد ذكر أن (الطَّهُور : الماء بعينه ، والطُّهور الفعل قياسا) [٥]. وذكره ابن الأثير وابن منظور [٦].

---

(١) تصحيح الفصيح لابن درستويه ٤١٤

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ١٠٠/٥ ، والآية من سورة الحج ٢

(٣) ينظر الاقتضاب للبطليوسي ١٣١/٢ – ١٣٢

(٤) مشارق الأنوار (طهر) ٣٢١/١

(٥) الجمهرة (طهر)

(٦) ينظر النهاية واللسان (طهر)

وإنما فتحت الطاء وجاءت الصيغة على هذا الوزن للمبالغة في الطهارة ، كما يرى بعض اللغويين . جاء في اللسان : (الماء الطَّهور ، بالفتح : هو الذي يرفع الحدث ويزيل النجس ، لأن فَعُولا من أبنية المبالغة ، فكانه تناهى في الطهارة) (١).

وعلل له الأزهري بما يتسق مع نظائر هذه الكلمة في اللغة ويكشف عن سداد منطقها ، قال : (الطَّهور في اللغة : هو الطاهر المطهرُ ، وفَعُول في كلام العرب لمعان منها فَعُول لما يُفْعَل به مثل : الطَّهور لما يتطهر به ، والوَضُوء لما يتوطأ به ، والفَطُور لما يُفطر عليه ، والغَسُول لما يغتسل به ويغسل به الشيء) (٢). وهو أدق وأوجه من التعليل الأول لأن معنى المبالغة قد يتحقق في كلمة (الطَّهور) بناء على تعريف الماء الطهور ، أما غيرها من نظائرها فلا يبدو فيها ذلك واضحا ؛ مما يعني أن " فَعُولا " هنا " لما يُفْعَل به " هو الأولى . (وقال سيبويه : الطهور بالفتح يقع على الماء والمصدر معا ، فعلى هذا يجوز أن يكون الحديث بفتح الطاء وضمها ، والمراد بهما التطهير) (٣). وهو خلاف ما عليه الأكثر .

٢٢. طاع وأطاع

قال القاضي عياض في (ط و ع) : (قوله : " فإن هم طَاعُوا لك " وفي غير حديث : أطاع الله وأطاعوه . وكلاهما صحيح عند أكثرهم يقال : طاع وأطاع بمعنى . وقال بعضهم : بينهما فرق ؛ طاع : انقاد وأطاع : اتبع الأمر و لم يخالفه . وكلاهما قريب من معنى واحد كله راجع إلى امتثال الأمر وترك المخالفة) (٤).

---

(١) اللسان (طهر)
(٢) التهذيب (طهر) وعنه في المصباح المنير (طهر)
(٣) النهاية في غريب الحديث واللسان (طهر)
(٤) مشارق الأنوار (طوع) ٣٢٢/١

وكأنه بذلك ممن يسوون بينهما في المعنى . وقد ذكر أن أكثرهم على هـذا . ومـن هولاء : ابن قتيبة ، إذ يقول : (أمرته فأطاع ، بالألف ، وقد طاع لـه ، إذ انقـاد) [١] . ومنهم أيضا : الزجاج [٢] وابن فارس [٣] وأبو هلال العسكري [٤] وابن مكي الصـقلي [٥] وابن الأثير [٦] والفيومي [٧] والفيروزآبادي [٨].

فطول البنية عند هؤلاء ليس له مردود دلالي . واختلاف اللهجات سبب ذلك ، على ما ورد عند ابن منظور ، من أن (من العرب من يقول طاع له يَطُوع طَوْعا فهو طائع بمعـنى أطاع) [٩].

وممن فرق بينهما : ابن السكيت إذ قال : (يقال : أمره بأمر فأطاعه ، بألف لا غير . وقد طاع له ، إذا انقاد له ، بغير ألف) [١٠] . ونقل ابن الأثير ذلك الفرق نفسـه الـذي ذكره القاضي [١١].

وجاء في اللسان على غرار هذا الفرق : (طاع له يَطُوع ، إذ انقاد له ، بغير ألف ، فإذا مضي لأمره فقد أطاعه) [١٢].

---

(١) أدب الكاتب ٣٥٤
(٢) فعلت وأفعلت ٦١
(٣) المقاييس (طوع)
(٤) الفروق اللغوية ١١٠
(٥) تثقيف اللسان ٢٣٢
(٦) النهاية في غريب الحديث (طوع)
(٧) المصباح المنير (طوع)
(٨) القاموس المحيط (طوع)
(٩) اللسان (طوع)
(١٠) إصلاح المنطق ٢٥٨
(١١) النهاية (طوع)
(١٢) اللسان (طوع)

وفي الأفعال للسرقسطي ما يفيد أن أطاع أعم من طاع ، إذا يقال : (طاع لك طيْعا وطَوْعا وأطاع : انقاد. ويقال في أطاع : اتبع الأمر و لم يخالفه) [١].

وفعلا معناهما قريب جدا من معنى واحد يرجعان إليه ؛ حتى أن أبا هلال العسكري زعيم الفروق اللغوية لم يرَ فرقا بينهما ! وما أجمل تعليق القاضي عياض على ذلك !.

٢٣. طاف وأطاف

ذكر القاضي عياض في (ط و ف) أن قوله : (جعل يطوف بالبير ، وطاف بالبيت ، وجعل يطيف بالجمل، كله بمعنى واحد ، إذا استدار به من جميع نواحيه ، حي صاحب الأفعال فيه كله : طاف وأطاف [٢] وفي الجمهرة : طاف بالشيء : دار حوله وأطاف به : ألم به [٣] . وقال الخطابي : طاف يَطُوف من الطَّوَاف ، وطاف يَطيف من الطيف ، وهو الخيال ، وأطاف يطيف من الإحاطة بالشيء) [٤].

يبدو من هذا أن القاضي يرى أن طاف وأطاف بمعنى واحد ، كابن القوطية صاحب الأفعال ، وأن ابن دريد والخطابي يفرقان بينهما .

وممن فرق بينهما بهذا أيضا ابن السكيت فقال : (يقال : قد أطاف به ، إذا ألم به . وقد طاف حول الشيء يَطُوف طَوْفا ، إذا دار حوله ... وقد طاف الخيال يَطِيف طَيْفا) [٥].

[٥].

---

(١) الأفعال ٣/٢٤٩

(٢) ينظر الأفعال لابن القوطية ١١٧

(٣) ينظر الجمهرة (طوف)

(٤) مشارق الأنوار (طوف) ١ / ٣٢٣

(٥) إصلاح المنطق ٢٦٠ وينظر أدب الكاتب ٣٤٢ والصحاح والقاموس المحيط (طوف)

فالإحاطة بالشيء يقال فيها : أطاف ، بالألف ، وهو ما تؤكده كتب اللغة ولا تذكر فيه غيره ، ومن ذلك ما ورد في اللسان مثلا : (أطاف فلان بالأمر ، إذا أحاط به) [١] وفي المصباح أيضا: (أطاف بالشيء : أحاط به)[٢].

وأما أنه في الدوران حول الشيء يقال فيه : طاف يطوف ، بغير ألف . فهذا غير مسلم به إذ يقال فيه أيضا: (طاف بالبيت وأطاف عليه : دار حوله) [٣].

وفي طيف الخيال في النوم يقال : طاف يَطِيف ، بغير ألف كذلك ، وبياء في المضارع . وهذا أيضا غير مسلم به ؛ إذ (يقولون في الخيال : طاف وأطاف) [٤] . وفي اللسان أيضا : (طيف الخيال : مجيئه في النوم ... وطاف الخيال يَطِيف ... وأطاف لغة) [٥] . وفي مضارعه الواو أيضا : طاف الخيال يَطِيف ويَطُوف [٦].

ويظهر من ذلك أن طاف وأطاف بينهما فرق في بعض الاستعمالات ، وليس فيها كلها ؛ فبعضها يقال بالألف وبغيرها .

٢٤. العَدْل والعِدْل

قال القاضي عياض في (ع د ل) : (قوله : " وله أُوقِيَّة أو عَدْلها " ، بالفتح ، و"من تصدق بعدل تمرة "؛ فالعَدل بالفتح : المِثْلُ وما عادل الشيء وكافأه من غير جنسه ، وبالكسر

---

(١) اللسان (طوف)
(٢) المصباح المنير (طوف)
(٣) اللسان (طوف)
(٤) المقاييس (طوف)
(٥) اللسان (طوف)
(٦) ينظر السابق (طوف)

ما عادله من جنسه وكان نظيره . وقيل : الفتح والكسر لغتان فيهما ، وهو قول البصريين ونحوه عن ثعلب) [١].

يرى القاضي أن اختلاف الحركة هنا أدى إلى اختلاف المعنى ، وهو في هذا الفرق يتابع الفراء ، إذ يقول : (العَدْل : ما عادل الشيء من غير جنسه والعِدْل : المثل . وذلك أن تقول : عندي عِدْل غلامك وعِدْل شاتك إذا كان غلاما يعدل غلاما أو شاة تعدل شاة . فإذا أردت قيمته من غير جنسه نصبت العين . وربما قال بعض العرب : عِدْله . وكأنه منهم غلط لتقارب معنى العَدْل من العِدْل) [٢]. وقال بهذا الفرق نفسه : ثعلب[٣] – فليس كما حكي القاضي عنه – وأبو هلال العسكري [٤] وابن مكي الصقلي [٥] وابن الأثير [٦] .

ولا يفرق البصريون بينهما ، كما ذكر القاضي [٧] ، وفي الزاهر أيضا عن (جماعة من أهل اللغة : العَدْل والعِدْل لغتان ، لا فرق بينهما ، بمنزلة السَّلْم والسِّلْم) [٨].

وذكر ابن منظور أن (العَدْل والعِدْل والعَدِيل سواء أي النظير والمثيل ...) [٩] . وقال الفيروز آبادي : (العَدْل والمثل والنظير كالعِدْل والعديل) [١٠].

وهذا الرأي أرجح لدي ، فالذين قالوا بالفرق بينهما قد تابعوا الفراء فيما ذهب إليه ، فلم يخرجوا عنه ولا عن تعبيره ، والفراء نفسه روى أن بعض العرب ربما قال في القيمة : عِدْل وغلطهم في ذلك ، كما تقدم . وأنى له هذا ؟! يرويه عن

---

(١) مشارق الأنوار (عدل) ٦٩/٢

(٢) معاني القرآن ٣٢٠/١ وهذا الفرق عنه في : الزاهر لابن الأنباري ١٤٧/١ والصحاح واللسان (عدل)

(٣) فصيح ثعلب ٢٩٩ ، وينظر تصحيح الفصيح وشرحه ٣٣٥

(٤) الفروق اللغوية ١٥٥

(٥) تثقيف اللسان ٣٤٥

(٦) النهاية واللسان (عدل)

(٧) وعنهم أيضا في الغريبين للهروي (عدل)

(٨) الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري ١٤٦/١

(٩) اللسان (عدل)

(١٠) القاموس المحيط (عدل)

بعض العرب ثم يخطئهم فيما يقولون ! وقد رد الزجاج هـذا فقـال : (قـال البصـريون : العَدْل والعِدْل في معنى المثل ، والمعنى واحد كان المثل من الجـنس أو مـن غـير الجـنس ، كما أن المثل ما كان من جنس الشـيء ومـن غـير جنسـه مِثْـل ، ولم يقولـوا: إن العرب غلطـت ، ولـيس إذا أخطـأ مخطـئ يوجـب أن تقـول: إن بعـض العـرب غلط)![1].

٢٥. العَوَج والعِوَج

وجاء في (ع و ج) : (" وبها عوج " جمهور أهـل اللغـة كلـهم : العَـوج في الأشخاص وكل ماله ظل بالفتح ، والعِوج بالكسر في غير ذلك من الرأي والكلام ، إلا أبـا عمرو الشيباني فإنه يقول العوج بالكسر فيهما ومصدرهما بالفتح معا) [2].

وفعلا يبدو من الدراسة أن جمهور اللغويين على هذا الفرق بينهما [3] . وقد يـوهم كلام القاضي أنهم فصلوا بالفتح والكسر بين ما بين يُرى وما لا يُرى وليس هذا دقيقا (قال ابن السكيت : وكل ما كان ينتصب كالحائط والعود قيل فيه : عَـوج بـالفتح ، والعـوج بالكسر ما كان في أرض أو دين أو معاش) [4] فما يرى وليس منتصبا ، كالأرض يقال فيه: فيه: عوج بالكسر أيضا ؛ ولذا قال ابن فارس : (العوج مفتوح في كل مـا كـان منتصـبا كالحائط والعود ، والعوج ما كان في بساط أو أمر نحو دين ومعاش) [5] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٨/٢

(٢) مشارق الأنوار (عوج) ٢ / ١٠٤ وينظر ما حكي عن أبي عمرو الشيباني في إصلاح المنطـق ١٦٤ ، والمزهـر ١٣٤/١

(٣) ينظر مجالس ثعلب ٨٥/١ ، وفصيح ثعلب ٢٩٨ ، والجمهرة والمقاييس والغريبين (عوج) وتثقيف اللسان ٣٣٩ ، ، واللسان والمصباح المنير والقاموس المحيط (عوج) والمزهر ١٣٤/١

(٤) الصحاح (عوج) وينظر إصلاح المنطق ١٦٤

(٥) المقاييس (عوج)

فليس دقيقا إذن أنهم (فصلوا بين ما يُرى وما لا يُـرى) [١] بـالفتح والكسـر ؛ فالأرض ترى ومع ذلك يقال فيها عِوج ، وقد اعترض عليه ابن درستويه وذكر أن (العـوج بتفحتين مصدر ، ففتح لأن الفعل من هذا إنما هو على فَعِل يفعَل بكسر الماضي وفتح المستقبل يقال : عَوِج يعوَج عَوَجًا ... وأما العوج مكسور الأول فاسم موضوع على غير الفعل لهـذا المعنى ، واستعمل المصدر بمعناه وكذلك المعنى ومنه قوله تعالى (وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا قَيِّمًا) [٢] . وقد قال تعالى في الأرض وهي معاينة لها شخص : (لا تَرَى فِيهَا عِوَجًـأ وَلاَ أَمْتًـا) [٣] بالكسر أيضا) [٤].

ويظهر لي أن الفتحة – وهي علامة نصب وأخف من الكسر – جاءت فيمـا هـو منتصب ، وإدراكه أسهل من غيره .

وفي عبارات بعض اللغويين ما يوحي بذلك ويدعمه ، كما في قول ابن مكي الصقلي هنا : (المنتصب للمنتصب) [٥] وقول الراغب : (العَوج يقال فيما يدرك بالبصـر سـهلا كالخشب المنتصب ونحوه . والعِوج يقال فيما يدرك . بالفكر والبصيرة كما يكـون في أرض بَسِيط يُعرف تَفاوُته بالبصيرة وكالدِّين والمعاش) [٦].

٢٦. العُوَار والعُوَّار

قال القاضي عياض في (ع و ر) : (قوله : " ولا ذات عَوار " ويوجد به العيب ، أو العَوَار بفتح العين والواو وهو العيب ، ويقال بضمهما أيضا ، وأما في العين فهـو العُـوَّار

---

(١) شرح فصيح ثعلب لابن الجبَّان ٢٣٨
(٢) الكهف ١ ، ٢
(٣) طه من الآية ١٠٧
(٤) تصحيح الفصيح وشرحه ٣٣٤
(٥) تثقيف اللسان ٣٣٩
(٦) المفردات (عوج)

بضم العين وتشديد الواو ، وهو كثرة القذى فيها وأما إصابة إحداهما فهو العُوَار ، بضم العين وتخفيف الواو) [١].

وتبرز المعاجم هذه الفروق الدلالية للصيغ الثلاث التي ذكرها القاضي . جاء في الصحاح: (العَوَار : العيب. يقال : سلعة ذات عَوَار بفتح العين وقد تضم ، عن أبي زيد . والعُوَّار بالضم والتشديد ... القذى في العين)[٢].

وفي المصباح : (العَوَار وزان كلام : العيب والضم لغة ... وبالعين عَوَار وعُوَار أيضا ، وبعضهم يقول : لا يكون الفتح إلا في الأمتعة فالسلعة ذات عَوَار ، وفي عين الرجل عُوَار بالضم) [٣]. والقاضي عياض من أتباع هذا المذهب الأخير ؛ فلم يذكر في إصابة العين بما يفقدها النظر إلا الضم .

وفُعَال ، بضم الفاء ، يطرد في ما دل على داء أو مرض ، نحو سَعَل سُعَالا وزُكِم زُكَامًا ومَشَى بطنه مُشاء[٤]. وعُوَار منه ؛ فجاءت عليه.

٢٧. الغَرْفَة والغُرْفَة

قال القاضي عياض في (غ ر ف) : (وقوله : " من غَرْفَة واحدة " قيل : يقال : غَرْفة وغُرْفة بمعنى واحد. وقيل: بالفتح الفعل وبالضم اسم ما اغتُرف ، قال يعقوب : مصدر غَرَفت الماء والمَرَق[٥] . وقيل : الغرفة بالضم مقدار ملء اليد ، وبالفتح المرة الواحدة [٦]).

---

(١) مشارق الأنوار (عور) ١٠٥/٢
(٢) الصحاح (عور) وينظر اللسان (عور)
(٣) المصباح المنير (عور)
(٤) ينظر شرح الأشموني ٥٦٧/١
(٥) ينظر إصلاح المنطق ٦٥
(٦) مشارق الأنوار (غرف) ١٣٢/٢

أي أن اختلاف الحركة لا أثر له في المعنى عند قوم ، وله ذلك عند آخرين . ويقول الراغب : (الغُرْفة ما يغترف ، والغَرْفة للمرة) [١]. وفي اللسان : (الغَرْفة والغُرْفة : ما غرف . وقيل : الغَرْفة المرة الواحدة والغُرْفة ما اغترف ... ويقال : الغُرْفة بالضم ملء اليد) [٢].

ويجري هذا في اللغة العربية على نسق يدل على حكمتها ، وعدم جزافيتها ؛ فبناء " فَعْلة " فيها يدل على المرة الواحدة ، إن كان مصدرا ، ويأتي بناء " فُعْلَة " فيها لمعان ، منها : الدلالة على مقدار الشيء ، وذلك نحو أكلت أَكْلَةً واحدةً ، وهي أُكْلَةٌ ، ولَقِمْت لَقْمةً واحدة وهي لُقْمةٌ طيبةٌ وغرفت غَرْفة واحدة ، وهي الغُرْفة[٣].

٢٨. الغَيْلة والغِيلَة

قال القاضي عياض في (غ ي ل) : قوله : " هَمَمْتُ أن أنهى عن الغيلَة " ضبطناه بكسر الغين وفتحها ، وقال بعضهم : لا يصح فتح الغين إلا مع حذف الهاء فيقال : الغَيْل . وحكي أبو مروان بن سراج وغيره من أهل اللغة: الغِيلة والغَيْلة معا في الرضاع . وفي القتل بالكسر لا غير . وقال بعضهم : هو بالفتح من الرضاع المرة الواحدة)[٤].

وقد جاء ذلك في اللسان ، فالغِيلة (هو أن يجامع الرجل زوجته إذا حملت وهي مرضع ، ويقال فيه : الغِيلة والغَيْلة بمعنى ، وقيل : الكسر للاسم والفتح للمرة ... والغِيلة بالكسر : الخديعة والاغتيال وقُتل فلان غِيلة أي خُدعة وهو أن يخدعه فيذهب به إلى موضع

---

(١) المفردات (غرف)

(٢) اللسان (غرف)

(٣) ينظر تصحيح الفصيح وشرحه ٣٥٥

(٤) مشارق الأنوار (غيل) ١٤٢/٢

فإذا صار إليه قتله) [١] . وكأنهم اختصوا القتل بالكسر ؛ لبيان نوع هذا القتل وهيئته ، وهو مما يأتي له بناء ، فِعْلة [٢] كما أن فَعْلة للمرة الواحدة [٣] كما تقدم .

٢٩. يَفْتَرِقَا ويَتَفَرَّقَا

قال القاضي عياض – في فصل الاختلاف والوهم في حرف الفاء مع الراء – : (وقوله : " البيعان بالخيار ما لم يَتَفَرَّقَا " كذا لكافة رواة الموطأ ومسلم والبخاري ، وعند أبي بحر والهوزني في حديث يحي بن يحي عن مالك : ما لم يَفْتَرِقا ، وكلاهما بمعنى ، ولكن اختلف الفقهاء في معنى هذا التفرق ، فذهب مالك وأصحابه إلى أنه بالقول ، وذهب جمهورهم إلى أنه بالأبدان وذهب بعض اللغويين – وحكاه الخطابي عن المفضل بن سلمة – [٤] إلى التفريق بين اللفظين فقال : يفترقا باللفظ ، ويتفرقا بالأجسام) [٥].

يسوي القاضي عياض بين التفرُّق والافتراق ، ويفرق بينهما بعض اللغويين ، وقد ترتب على ذلك أحكام فقهية في البيع والشراء . وقد أورد ابن منظور الرأيين ، فمن قائل : (التفرق والافتراق سواء ، ومنهم من يجعل التفرق للأبدان والافتراق في الكلام [٦].

وعلل الفيومي لذلك بأنه من باب مناسبة الصيغ لمعانيها ، جاء في المصباح : (قال ابن الأعرابي : فَرَقْت بين الكلامين فافْتَرَقا ، مخفف ، وفَرَّقْت بين العبدين فَتَفَرَّقا ، مثقل ،

---

(١) اللسان (غيل)
(٢) ينظر الكتاب ٤٤/٤ ، وشرح الشافية للرضي ١٨٠/١
(٣) ينظر الكتاب ٤٥/٤
(٤) ينظر معالم السنن للخطابي ٩٤/٥
(٥) مشارق الأنوار ١٥٥/٢
(٦) اللسان (فرق)

فجعل المخفف في المعاني والمثقل في الأعيان . والذي حكاه غيره أنهما بمعنى والتثقيل مبالغة)[١].

٢٩. فَرَى وأَفْرَى

قال القاضي عياض في (ف ر ى) : (قوله : " يَفْرِي فَرِيّة " بكسر الراء وشد الياء ، ويقال بسكون الراء أيضا... ومعناه : يعمل عمله ويقوي قوته ، يقال : فلان يَفْرِى الفَرِيَّ أي يعمل العمل البالغ ؛ ومنه : " لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا" (٢) أي عظيما عجيبا ، يقال : فَرَيْت إذا قطعت وشققت على جهة الإصلاح ، وأفْرَيْت إذا فعلته على جهة الإفساد ؛ ومنه قول حسان : " لأَفْرِيَنَّهُمْ فَرِيَ الأَدِيم " . يريد لأقطعن أعراضهم تقطيع الأديم وتشقيقه) [٣].

فرق القاضي بين : فَرَى وأَفْرَى ، فكل من البنية القصيرة والطويلة له معنى يختلف عن الآخر . وقد فرق بينهما بذلك : الكسائي [٤] وأبو عبيد القاسم بن سلام [٥] وابن قتيبة [٦] [٦] وابن دريد [٧] وأبو علي القالي [٨] وابن فارس [٩] والهروي [١٠] والراغب [١١] وغيرهم ، وغيرهم ، وقد ذكر البطليوسي (ت ٥٢١هـ) أن (هذا قول جمهور اللغويين) [١٢].

---

(١) المصباح المنير (فرق)
(٢) مريم من الآية ٢٧
(٣) مشارق الأنوار (فرى) ١٥٤/٢
(٤) الصحاح واللسان (فرى)
(٥) الغريب المصنف ٥٧٧/٢
(٦) أدب الكاتب ٣٤٩
(٧) الجمهرة (فرى)
(٨) تثقيف اللسان ٣٣٤
(٩) المقاييس (فرى)
(١٠) الغريبين (فرى)
(١١) المفردات (فرى)
(١٢) الاقتضاب ١٥٨/٢

وسوى بعضهم بينهما (قال الأصمعي وأبو عبيدة : فَرَيْت الشي وأَفْرَيْته إذا قطعته)[١] . على أي جهة كان ، للإصلاح أو الإفساد . ويقول الفيروزآبادي أيضا (فَرَاه يَفْرِيه : شقه فاسدا أو صالحا ، كفَرَّاه وأَفْرَاه)[٢]. فيقال هذا اللفظ أو ذاك عندهم في كلا المعنيين ، لعموم المعنى الأصلي للمادة ، والذي يفيد القطع أو الشق مطلقا ، أما غيرهم فقد اعتد بالاستعمال الذي يغلّب فَرَى في القطع للإصلاح ، وأَفْرَى في القطع للإفساد . وقد قال البطليوسي – بعد ما ذكر أن هذا قول جمهور اللغويين – : (وقد وجدنا فَرَى مستعملا في القطع على جهة الإفساد...)[٣] فهذا يفيد أنه قليل .

٣٠. فَقِه وفَقُه

قال القاضي عياض في (ف ق هـ) : (قوله : " اللهم فقه في الدين " ... الفقه : الفهم في كل شيء ، يقال منه فقِه بالكسر يَفْقَه فَقَها بفتح القاف ، وقالوا : فِقْها أيضا بسكونها ، وأفقهته أنا : أفهمته . وأما الفقه في الشرع ، فقال صاحب العين والهروي وغيرهما فيه : فقُه بالضم [٤] وقال ابن دريد فيه : بالكسر كالأول ، قال : وقالوا فقه بالضم فيه أيضا أيضا)[٥] [٦] .

أي أنه يقال في الدين : فقُه بالضم وفي غيره : فقِه بالكسر وذكره بعضهم في الدين أيضا كابن دريد .

---

(١) فعلت وأفعلت للزجاج ٧٤ وينظر الأفعال للسرقسطي ٨/٤

(٢) القاموس المحيط (فرى)

(٣) الاقتضاب ١٥٨/٢

(٤) ينظر العين والغريبين (فقه)

(٥) ينظر الجمهرة (فقه)

(٦) مشارق الأنوار (فقه) ١٦٢/٢

وذلك اعتدادا بأن كل صيغة منهما لها معنى دلالي فحين نقول : فقِهه محمد المسألة فمعناه : فهمها ، وحين نقول : فقُه محمد فمعناه : صار فقيها ، أي أنه مارس الفقه حتى صار سجية له [١].

ففي اللسان : (وأما فقُه بضم القاف ، فإنما يستعمل في النعوت) [٢] وفي المصباح : (وفقِه فَقَهًا من باب تعب ، إذا علم . وفقه بالضم مثله . وقيل : بالضم ، إذا صار الفقه له سجية) [٣].

ويقول صاحب التصريح: (والفقيه من فقه بالضم : هو الذي صار الفقيه سجية له)[٤].

وذلك لأن (" فَعُل" في الأغلب للغرائز ، أي الأوصاف المخلوقة كالحُسْن والقُبْح والوَسَامة والقَسَامة ... وقد يجري غير الغريزة مجراها إذا كان له لُبْث ، ومُكْث ، نحو حَلُمَ وبَرُعَ وكَرُمَ وفَحُشَ) [٥] . أي يدل على التحول في الصفحات إلى ما يقرب من الطبع والخِلقة[٦].

والفقيه يكون كذلك ، كما تقدم ، وعمله يحتاج إلى هذا ، إذ الفقه (في الإصلاح : هو العلم بالأحكام الشرعية المكتسب من أدلتها التفصيلية . وقيل : هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم ، وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد ، ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل) [٧].

---

(١) ينظر معاني الأبنية في العربية د/ فاضل السامرائي ٩٥

(٢) اللسان (فقه)

(٣) المصباح المنير (فقه)

(٤) شرح التصريح على التوضيح ١١٤/٢

(٥) شرح الشافية للرضي ٧٤/١

(٦) ينظر معاني الأبنية في العربية ٩٥

(٧) التعريفات للجرجاني (فقه) ٢١٦

٣١. القَسَم والقِسْم

قال القاضي عياض في (ق س م) : (قوله : في قسم يقسم به ، القَسَم بفتح السين : الحَلِف ، يقال من فعله أقسم ... وأما القِسْم بسكون السين فتمييز النصيب يقال من فعله قَسَمَ)[١] .

فرق القاضي بين القَسَم بمعنى الحلف ، والقِسْم بمعنى النصيب وبيَّن فعليهما ، وهو ما تشير إليه المعاجم[٢].

٣٢. الكَرْه والكُرْه

ذكر القاضي عياض في (ك ر هـ) أن الكره : كراهة الشيء ، بالفتح والضم معا عند البصريين . وقال الفراء : بالفتح إذا أكرهك غيرك عليه ، وبالضم : المشقة [٣] وقال القتبي : بالفتح : القهر وبالضم : المشقة [٤] . وقال بعضهم : بالضم المشقة يتحملها من غير أن يتكلفها ، وبالفتح : المشقة يكلَّفها فيتحملها [٥].

إذن هناك فريق يسوي بين الكَرْه والكُرْه في المعنى . ومن هؤلاء : الكسائي كان يقول : (هما لغتان) [٦] وابن دريد فهما عنده أيضا (لغتان) [٧] وكذلك عند الرازي [٨].

[٨].

---

(١) مشارق الأنوار (قسم) ١٩٣/٢

(٢) ينظر اللسان والمصباح المنير (قسم)

(٣) ينظر إصلاح المنطق ٩٠ والصحاح واللسان (كره)

(٤) ينظر أدب الكاتب ٣٠٨

(٥) ينظر مشارق الأنوار (كره) ٣٣٩/١ – ٣٤٠

(٦) إصلاح المنطق ٩٠ والصحاح (كره)

(٧) الجمهرة (كره)

(٨) ينظر مفاتيح الغيب ٢٩٤/٣

وفريق آخر لا يسوي بينهما كالفراء وابن قتيبة ، وبعض العلماء ممن يفرق بينهما بفرق آخر كما ذكر القاضي[١].

وقد استدل ابن بري لصحة رأي الفراء بالاستعمال القرآني قال : (يدل على صحة قول الفراء قوله سبحانه: (وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً)[٢] و لم يقرأ أحد بضم الكاف [٣] وقال سبحانه وتعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ)[٤] و لم يقرأ أحد بفتح الكاف[٥] فيصير الكَره بالفتح فعل المضطر ، والكُرْه بالضم فعل المختار)[٦] [٦] . وهو استشهاد دقيق بالمتواتر من القرآن الكريم ؛ يدعو إلى ترجيح هذا الرأي والميل إلى أن بينهما فرقا.

٣٣. كن وأكن

قال القاضي عياض في (ك ن ن) : (يقال : كنت الشيء أكنه وأكننته بمعنى سترت وخبأت . وبعض أهل اللغة يقول : كننت الشيء : سترت وصنت وأكننت القول في صدري: أخفيته واحتج بقوله: (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ)[٧] من كنت ، وبقوله : (ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ)[٨] من أكننت)[٩] .

ليس بين الصيغتين فرق في المعنى عند القاضي عياض ، ويفرق بينهما بعض اللغويين ، محتجا بالاستعمال القرآني ، فيجعل (كن) فيما هو حسي وتعني ستر الشيء ، و (أكن) فيما هو معنوي وتعني أخفي القول في صدره.

---

(١) ينظر ذلك أيضا في : اللسان والمصباح (كره)
(٢) آل عمران من الآية ٨٣
(٣) قرئ به في الشواذ وهي قراءة الأعمش (البحر المحيط ٢٤٨/٣)
(٤) البقرة من الآية ٢١٦
(٥) قرئ به في الشواذ وهي قراءة السلمي . (شواذ القرآن ٢٠)
(٦) اللسان (كره)
(٧) الصفات ٤٩
(٨) القصص من الآية ٦٩
(٩) مشارق الأنوار (كنن) ٣٤٣/١

وممن ذهب إلى الفرق بينهما بهذا : الكسائي وابن السكيت وابن قتيبة وثعلب والراغب وواضع معجم ألفاظ القرآن الكريم[١] .

ونجد ممن يسوي بينهما : الفراء [٢] وأبا زيد فقد حكي عنه في ذلك أنه يقول : (الثلاثي والرباعي لغتان في الستر والإخفاء جميعا) [٣] والزجاج [٤] وابن بري [٥] والفيروزآبادي [٦].

ويحتج الفراء بالشعر فيقول : (للعرب في أكننت الشي إذا سترته لغتان : كننته وأكننته ، قال : وأنشدوني قول الشاعر (من الوافر) :

ثلاثٌ من ثَلاثِ قُدَامَياتٍ ... من اللاَّتي تَكُنَّ من الصَّقِيع

وبعضهم يرويه تُكنُّ من أكننت) [٧].

كما ذكر ابن بري أنه قد (جاء كننت في الأمرين جميعا ،قال المُعَيْطِيُّ (من البسيط):

قد يكْتُم الناسُ أسْرارًا فأعْلمُها ... وما ينالون حتى الموتِ مَكْنُوني [٨]

فمكنون اسم مفعول من كَنّ ، وقد جاء في إخفاء الأسرار .

---

(١) ينظر على الترتيب : الصحاح (كنن) ، وإصلاح المنطق ٢٣٤ ، وأدب الكاتب ٣٥٢ – ٣٥٣ ، وفصيح ثعلب ثعلب ٢٧٥ ، والمفردات ومعجم ألفاظ القرآن الكريم (كنن)

(٢) ينظر معاني القرآن ١٥٢/١ – ١٥٣

(٣) المصباح المنير (كنن)

(٤) فعلت وأفعلت ٨١

(٥) اللسان (كنن)

(٦) القاموس المحيط (كن)

(٧) معاني القرآن ١٥٢/١ – ١٥٣ وعنه في اللسان (كنن)

(٨) اللسان (كنن)

ويلاحظ أن هؤلاء قد اتسع عندهم نطاق الاستشهاد ، فاحتجوا بالشعر ، أما الفريق الأول فقد تقيد بالاستعمال القرآني ، و لم يتعداه ، وبني رأيه على ما جاء فيه . مع أنه ليس من أهداف القرآن الكريم استقصاء كل الاستعمالات للكلمة ، كما يطلب من معجم لغوي يوضع لذلك أساسا !

ويشير ابن القوطية إلى صواب الرأيين ، وأن الأكثر الرأي الذي يفرق بينهما ، فتلك لغة القرآن الكريم ، قال: (كننت الشيء كَنًّا وأكننته : صنته في الكِنّ وسترته لغة ، والأعم لغة القرآن ، كننته : صنته ، وأكننته : أخفيته في نفسك) (١).

٣٤. نَشَأَ وأَنْشَأَ

قال القاضي عياض في (ن ش أ) : (قوله : "نَشَأَ يحدثنا "، و" نَشَأَتْ سحابةٌ " ... ابتدأ ، يقال : نشأت السحابة تنشأ ، إذا ابتدأت في الارتفاع ، وأنشأت : بدأت بالمطر ... وأنكر بعض أهل اللغة أنشأت السحابة ، وقال: إنما يقال نشأت) (٢).

يفرق القاضي بين الصيغتين ، وقد جاء هذا الفرق بينهما عند ابن القوطية (٣) وفي الأفعال للسرقسطي إذا يقال : (نشأ السحاب نَشْأً ارتفع ... وأنشأ السحاب يمطر : بدأ) (٤) وعند ابن منظور أيضا (٥) ففي كليهما ابتداء، ولكن أحدهما ابتداء بالارتفاع ، والآخر ابتداء بالمطر و لم يرد (أنشأت السحابة) في الجمهرة والصحاح والقاموس المحيط .

---

(١) الأفعال ٦٤ ، وينظر الأفعال للسرقسطي ١٤١/٢

(٢) مشارق الأنوار (نشأ) ٢٨/٢

(٣) ينظر الأفعال ١١٤ – ١١٥

(٤) الأفعال ١٦٥/٣

(٥) ينظر اللسان (نشأ)

٣٥. نَصَل وأَنْصَل

قال القاضي عياض في (ن ص ل) : (وقوله : " فليأخذ بنصالها " ، و" بنصولها " ، و" انظر إلى النَّصْل "، هو حديدة السهم ، وحديدة الرمح أيضا وهو السِّن ... يقال : نَصَلت السهم والرمح إذا جعلت له نَصْلاً وأنْصَلْته إذا أزلت نَصْله) [١]

هذه الهمزة للسلب والإزالة ، فهي مورفيم **Morpheme** أو وحدة صرفية أفادت معنى [٢] . وقد قال بهذا الفرق الذي ذكر القاضي كثير من اللغويين [٣].

ويذكر بعضهم أن الصيغة بالألف تستعمل أيضا في معنى التركيب أو التثبيت ، كما ورد في اللسان عن " ابن الأعرابي : أنصلت الرمح ونَصَلْته : جعلت له نَصْلا وأنصلته : نزعت نصله) [٤].

٣٦. النَّفْس والنَّفَس

قال القاضي عياض في (ن ف س) : (النَّفْس تقع على الذات وعلى الحياة وعلى الروح ، وأما النَّفَس ، بالفتح فنفس الإنسان الداخل والخارج) [٥].

فالكلمة بالفتح لها معنى ، وبالسكون لها معنى آخر ، وهذا الفرق بينهما معروف في اللغة [٦] . قال الراغب: (النَّفْس : الروح في قوله (أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمْ) [٧] ... والنَّفَس :

---

(١) مشارق الأنوار(نصل) ١٤/٢-١٥

(٢) المورفيم : (أصغر وحدة في بنية الكلمة تحمل معنى) . مدخل إلى علم اللغة د. حجازي ٩٠

(٣) ينظر أدب الكاتب ٣٤٩ ، والجمهرة (نصل) والأفعال لابن القوطية ١٠٩ ، والمقاييس والغريبين واللسان والمصباح (نصل)

(٤) اللسان (نصل)

(٥) مشارق الأنوار (نفس) ٢٢/٢

(٦) ينظر الصحاح والمصباح والقاموس (نفس)

(٧) الأنعام من الآية ٩٣

الريح الداخل والخارج في البدن من الفم والمنخر ، وهو كالغذاء للنفْس وبانقطاعه بطلانها)[١].

وكأن العرب أرادت أن تخص بالسكون ما هو ثابت ومستقر في البدن إلى أجل مسمى ، فقالت النَّفْس ، وأن تخص بالحركة ، الفتحة هنا ، ما هو متحرك يدخل في البدن ويخرج منه في حركات متكررة ، فقالت النَّفَس .

٣٧. نُفِسَتْ ونَفِسَتْ

وجاء في (ن ف س) أيضا : (قوله في الحيض : "لعلك نَفِسْت "... وفي الولادة : "فنُفِسَت بعبد الله "، كذا أيضا ضبطناه بالضم . قال الهروي : يقال في الولادة : نُفِسَت المرأة ونَفِسَت بالوجهين ، في النون الضم والفتح ، إذا حاضت : نَفِسَتْ ، بالفتح في النون لا غير [٢] ، ونحوه لابن الأنباري ، وذكر أبو حاتم عن الأصمعي الوجهين معا فيهما) [٣].

فالفرق الدلالي مستفاد من شكل الصيغة ، ومن السياق كذلك [٤] ، إذ الفعل يكون يكون مبنيا للمجهول والمعلوم في الولادة ، ومبنيا للمعلوم في الحيض ، فالفعل المبني للمجهول يدل بذاته على أنه قد ولدت المرأة ، إذ لا يقال في الحيض إلا ما يحكى عن الأصمعي أنه يقال فيه أيضا ، فيكون الوجهان فيهما جميعا .

وقد ورد ذلك الفرق في اللسان يقال : نُفِست المرأة ونَفِسَت بالفتح : ولدت ، فأما الحيض فلا يقال فيه إلا نفست ، بالفتح [٥] . وقال الفيومي بذلك أيضا ، وتعقب الأصمعي

---

(١) المفردات (نفس)

(٢) ينظر الغريبين (نفس)

(٣) مشارق الأنوار (نفس) ٢ / ٢١

(٤) ينظر علم اللغة بين التراث والمعاصرة د/ عاطف مدكور ٦١ فقد استفدت ذلك من كلامه عن الزمن في الفعل

(٥) ينظر اللسان (نفس)

فيما روي عنه بأنه (ليس بمشهور في الكتب في الحيض ، ولا يقال في الحيض : نُفِسَتْ بالبناء للمفعول)[١].

٣٨. نَمَى ونَمَّى

قال القاضي عياض في (ن م ى) : (قوله : " نَمَّى " في حديث الإفك مشددا ، وقرأه أبو زيد مخففا ، ويَنْمى الحديث ويَنْمِى خيرا ، مخففا ، ونَمَيْتُ ذلك ... قال أبو عبيد : نَمَى الحديث – مخفف الميم – أي أبلغه ، ونَمَيْتُه إلى غيري مثل أسْنَدْته ونَمَيَّته أبلغته على وجه النميمة [٢] ، وقال ابن قتيبة وغيره : نَمَيْتُه نقلته على وجه الإصلاح ، ونَمَّيْتُه – بالتثقيل – نقلته على جهة الإفساد[٣])[٤].

فالفرق مستفاد من شكل الصيغتين ؛ فكل واحدة منهما لها معنى ، وذلك الفرق في الغريبين عن أبي عبيد[٥]، وفي النهاية عن أبي عبيد وابن قتيبة وغيرهما [٦]. وهو كنص القاضي القاضي عياض فلعله رجع إليه .

وأبو عبيد نفسه حكاه في غريبه عن الأصمعى [٧]، وهو ما في الصحاح واللسان [٨] [٨] ، وقال به الزمخشري[٩] وهو معروف مشهور حتى قال الأصمعي : (والعرب تفرق بين

---

(١) المصباح المنير (نفس)
(٢) ينظر غريب الحديث ٢٠٣/١
(٣) ينظر أدب الكاتب ٣٤٧
(٤) مشارق الأنوار (نمى) ١٣/٢-١٤
(٥) ينظر الغريبين (نمى)
(٦) ينظر النهاية في غريب الحديث (نمى)
(٧) ينظر غريب الحديث ٢٠٣/١
(٨) ينظر الصحاح واللسان (نمى) فهو فيهما عن الأصمعي .
(٩) ينظر الفائق في غريب الحديث ٢٧/٤

بين نَمَيْت مخففا ، وبين نَمَّيْت مشددا بما وصفتُ ، قال : ولا اختلاف بين أهل اللغة فيه) [١].

وكأنهم اختاروا تشديد العين في فعل من ينقل الكلام على جهة الإفساد ؛ لأن من يسعى بذلك يجهد نفسه، ويزيد من المشقة عليها ، وتشديد العين في الفعل يدل على قوة المعنى المحدَّث به [٢].

٣٩. الهَوِيُّ والهُوِيُّ

قال القاضي عياض في (هـ و ى) : (وقوله : " حتى يَهوِى " بفتح الياء وكسر الوار ، والهَوِيّ والهُوِيّ بالفتح والضم: المضي والإسراع ... ويقال في الصعود والهبوط . هَوَى يَهْوِى هَوِيًّا بالتفح إذا هبط ، وهُوِيًّا بالضم إذا صعد ، ولم يفرق بينهما صاحب العين وجعلهما لغتين [٣]) [٤].

لما كان شكل الماضي والمضارع فيهما واحدا والمعنى مختلف اعتمدوا على المصدر في التفريق بين الدلالتين باختلاف الشكل فيه [٥] . فجعلوا الفتح دالا على الهبوط ، والضم دالا على الصعود ، وقد قال بهذا الفرق أيضا أبو زيد وابن فارس والراغب [٦].

ويلاحظ أن الضمة تناسب الصعود والفتحة تناسب النزول أو الهبوط فالضمة أثقل من الفتحة [٧] ، والصعود فيه مشقة وثقل ، بخلاف النزول ، وكذلك الضمة يرتفع معها

---

(١) اللسان (نمى)

(٢) ينظر الخصائص ١٥٥/٢

(٣) لم أجد ذلك في المطبوع من العين في مادة (هوى)

(٤) مشارق الأنوار (هوى) ٢٧٣/٢ – ٢٧٤

(٥) ينظر تصحيح الفصيح وشرحه ١٨٧

(٦) ينظر على الترتيب : اللسان والمقاييس والمفردات (هوى)

(٧) الكتاب ١٦٧/٤

أقصى اللسان نحو أقصى الحنك [١] والصعود ارتفاع. والفتحة يهبط معها اللسان ويستوي في قاع الفم مع انحراف قليل في أقصاه نحو أقصى الحنك[٢]، ويتفق هذا مع الهبوط .

ونجد أيضا أنه (قيل بالعكس) [٣] أي بالضم مع الهبوط ، والفتح مع الصعود ، وكأنهم عملوا على تحقيق الخفة بنوع من المعادلة ، فجعلوا الخفيف مع ما فيه ثقل ، والعكس.

وهناك من جعل الفتح والضم في الهبوط ، والضم في الصعود [٤].

---

(١) الأصوات اللغوية د/ أنيس ٣٢ – ٣٣

(٢) السابق ٣٢

(٣) اللسان (هوى) وينظر القاموس المحيط (هوى)

(٤) ينظر المصباح المنير والقاموس المحيط (هوى)

الفصل الثاني

الفرق بين اللفظين باعتبار صفة معنى كل منهما

٤٠. الإبريق والكوب

قال القاضي عياض في (أ ب ر) : (وقوله : " أباريق عدد نجوم السماء " . الإبريق بكسر الهمزة : الكوز إذا كان له خرطوم ، فإن لم يكن له خرطوم فهو كوب . وقيل : الإبريق : ذوات الأذَان والعُرَا . والكوب : ما لا أُذُن له ولا عروة) [١].

اعتبر القاضي عياض في الفرق بين الإبريق والكوب ، وجود الخرطوم وعدمه ، وقد اعتبر أبو عبيدة ذلك في الفرق بينهما [٢].

وحكي القاضي قولا اعتبر الأذان والعرا في التفريق بينهما ، وقد اعتبر ذلك الفراء[٣].

ونظر بعض العلماء فوجد الصفتين تمثلان معا فرقا بينهما ، كالزجاج إذا يقول : (الأكواب : آنية لا عُرى لها ولا خراطيم ، والإبريق : ما له خرطوم وعروة [٤]) وكابن عزيز السجبستاني [٥].

ويقتصر بعض اللغويين على أحد هاتين الصفتين ، كابن دريد ، فيذكر أن (الكوب : الإبريق بلا عروة)[٦] إذ الإبريق بعروة .

ويضيف الفيروزآبادي أن (الكوب بالضم : كوز لا عروة له ، أولا خرطوم له)[١]. له)[١]. فجمع بين الصفتين.

---

(١) مشارق الأنوار (أبر) ١٢/١

(٢) ينظر مجاز القرآن ٢٠٦/٢ و ٢٤٩ وينظر البحر المحيط ٣٥٧/٩

(٣) ينظر معاني القرآن ١٢٣/٣

(٤) معاني القرآن ١١٠/٥ وينظر مفاتيح الغيب ٢٥٦/١٥

(٥) ينظر غريب القرآن له (أكواب) ٢١

(٦) الجمهرة (كوب) وينظر الصحاح (كوب)

وبذكرون أن الإبريق معرب من الفارسية [٢] . ولعل مجيئة إلى بلاد العرب على أشكال مختلفة كان من وراء هذا الاختلاف في تفسيره ، ولا يزال ذلك معروفا إلى اليوم ، ويوجد من الأكواب ما له مقبض أو أذن ، فيقال له : كوب بأذن (بِوِدْنْ) تمميزا له من الأصل الذي ليس به ذلك .

٤١. الأَنْبِجانِيّة والخمِيصَة

قال القاضي عياض في (أ ن ب) : (قوله في حديث أبي جَهْم : " وائتوني بأَنْبِجَانِيّة " ضبطناه بالوجهين في الهمزة في الفتح والكسر ... قال ثعلب : يقال ذلك في كل ما كثف والتف . وقال غيره : إذا كان الكساء ذا عَلَمين فهو الخَمِيصَة ، فإن لم يكن له علم فهو الأنبجانية) [٣].

ويقرر ابن الأثير ذلك في كلمة أنبجانية ، ويبين اشتقاقها فيقول : (المحفوظ بكسر الباء ويروى بفتحها . يقال : كساء أَنْبِجَانِي منسوب إلى مَنْبِج المدينة المعروفة ، وهي مكسورة الباء ، ففتحت في النسب وأبدلت الميم همزة. وقيل : إنما منسوبة إلى موضع اسمه أَنْبجَان وهو أشبه ؛ لأن الأول فيه تعسف ، وهو كساء يتخذ من الصوف وله خَمْل ولا علم له وهي من أدون الثياب الغليظة) [٤].

ويقول الجوهري عن الخميصة : (الخميصة : كساء أسود مربع له علمان ، فإن لم يكن مُعْلما فليس بخميصة)[٥] وفسرها بذلك أيضا الفيروز آبادي [٦] ، وهو ما ورد عند القاضي .

---

(١) القاموس المحيط (كوب)

(٢) المعرب اللجواليقي ٧١ ، واللسان والمصباح المنير (برق)

(٣) مشارق الأنوار (أنب) ١ / ٤٠

(٤) النهاية (أنبجان) وعنه في اللسان (بنج)

(٥) الصحاح (خمص)

(٦) القاموس المحيط (خمص)

٤٢. البخل والشح

قال القاضي عياض في (ش ح ح) : (وقوله : " ويلقي الشُّح " وخير الصدقة وأنت صحيح شَحِيحٌ " وهو البخل وكثرة الحرص على إمساك ما في اليد وغيره ... وقيل : الشح عام كالجنس ، والبخل خاص في أفراد الأمور كالنوع له) (١).

يدل تفسير القاضي هذا للشح على أنه عنده غير البخل ، فلم يكتف فيه بكلمة البخل ، وإنما زاد ما تقدم ، وفي الصحاح : (الشح : البخل مع حرص) (٢) . ولذا رأي أبو هلال العسكري (أن الشح : الحرص على منع الخير يقال : زنْد شَحَاح إذا لم يُورِ نارا وإن أشح عليه بالقِدْحِ كأنه حريص على منع ذلك . والبخل منع الحق فلا يقال لمن يؤدي حقوق الله تعالى : بخيل) (٣).

ثم ذكر القاضي رأيا يفرق بينهما باعتبار العموم والخصوص وهذا وغيره في اللسان فقد قيل : (الشُّح والشَّح : البخل ، والضم أعلى ، وقيل : هو البخل مع حرص ، وفي الحديث : إياكم والشح ! الشح أشد البخل ، وهو أبلغ في المنع من البخل ، وقيل : البخل في أفراد الأمور وآحادها ، والشح عام وقيل : البخل بالمال ، والشح بالمال والمعروف) (٤).

وهذا المعنى الزائد للشح تناسبه الشين والحاء وتضيعف الحاء ، إذا الشين متفشية (٥) ، ، والحاء في آخر الكلمة تدل على انبساط وامتداد (٦) ، وتضعيفها يدل على زيادة ذلك .

---

(١) مشارق الأنوار (شحح) ٢/٢٤٥

(٢) الصحاح (شحح)

(٣) الفروق اللغوية ١٧٦

(٤) اللسان (شحح)

(٥) التمهيد في علم التجويد لابن الجزرى ٩٦ و ١٢٨

(٦) ويلاحظ ذلك في كلمات أُخر أيضا مثل : باح ، انداح ، راح ، ساح ، صاح ، فضح ، فاح ، ناح ، وغيرها .

٤٣. الباسُور والناسُور

قال القاضي عياض في (ب س ر) : (قوله في حديث عمران بن حُصَيْن : " كانت بي بَوَاسِير " .هي تورم في أسفل المخرج ، داء معلوم بالباء . ومثله في الحديث الآخر عنه : " كان مَبْسُورا " أي به الباسور ، ورواه بعضهم: " مَنْسُورا " بنون ، في حديث عبد الصمد ، أي به ناسور ، وهو بمعنى قريب من الأول ، إلا أنه لا يسمي باسورا بالباء إلا إذا جرى وانفتحت أفواه عروقه من خارج المخرج) [١].

الباسور مفرد ، جمعه البواسير ، وقد فرق القاضي بينه وبين الناسور – أعاذنا الله تعالى منهما ومن كل داء – وهي ملاحظة دقيقة ومشاهدة إذ الناسور كامن ، والباسور يجري وتنفتح أفواه عروقه من خارج المخرج ، وفي المصباح أن الباسور (إن كان في المقعدة لم يكن حدوثه دون انتفاخ أفواه العروق) [٢].

وأما الناسور فإنه (عرق غبر وهو في باطنه فساد فكلما برئ أعلاه رجع غَبِرَا فاسدا)[٣] وكلاهما يقال بالصاد أيضا وقيل : إنهما غير عربيان [٤].

والباء صوت شفوي شديد [٥] أقوى من النون يناسب ذلك الجريان والانفتاح والانتفاخ الذي هو من صفة الباسور .

---

(١) مشارق الأنوار (بسر) ١/١٠٠ – ١٠١

(٢) المصباح المنير (بسر)

(٣) اللسان (نسر)

(٤) ينظر الجمهرة (بسر) واللسان والمصباح (بسر) و(نسر)

(٥) سر الصناعة ٤٨/١ و ٦١

ويرى ابن حجر أن (البواسير جمع باسور ، يقال بالموحدة وبالنون ، أو الذي بالموحدة ورم في باطن المقعدة، والذي بالنون قرحة فاسدة لا يقبل البرء ما دام فيها ذلك الفساد) [١] . وما تقدم والاصطلاح الطبي يمنعان أن يكونا بمعنى واحد .

٤٤. التتابع والتتايع

قال القاضي عياض – في فصل الخلاف والوهم في حرف التاء مع الباء – : (في حديث هدم الكعبة : " تَتَابَعُوا فنقضوه " كذا عند الرواة لمسلم بالباء بواحدة قبل العين ، أي اتَّبع بعضهم بعضا وعند أبي بحر : " تَتَايَعُوا " بالياء باثنتين تحتها . وفي الطلاق " " فلما كان في عهد عمر تتابع الناس في الطلاق " كذا عند أبي جعفر بباء واحدة أيضا ، وعند سائرهم : " تتايع " بياء باثنتين تحتها والكلمتان بمعنى ، وأهل اللغة يفرقون فيقولون : بالباء بواحدة في الخير وباثنتين في الشر ، فعلى هذا الوجه في الحديث الأول بالباء بواحدة ، وفي الثاني باثنتين)[٢].

ولا ينفرد القاضي فيما ذهب إليه من أن الكلمتين بمعنى ، فقد أورد ابن منظور بعدما ذكر أن التتايع يكون في الشر – أنه (وقيل : التتايع في الشر كالتتايع في الخير) [٣] أي أنه يستعمل فيه أيضا كما يستعمل في الشر .

وقد ذكر أنه يكون في الشر ولا يكون في الخير : أبو عبيد والأزهري وابن فارس والجوهري والزمخشري وابن الأثير والفيروزآبادي [٤] وغيرهم . وهو يوافق أصل المادة الذي يدل على (اضطراب الشيء) [٥].

---

(١) فتح الباري ٦٨١/٢

(٢) مشارق الأنوار ١١٩/١

(٣) اللسان (تيع)

(٤) ينظر على الترتيب : غريب الحديث ١٩/١ والتهذيب والمقاييس والصحاح (تيع) والفائق في غريب الحديث ١٥٨/١ والنهاية في غريب الحديث والقاموس المحيط (تيع)

(٥) المقاييس (تيع)

وأما أن التتابع يكون في الخير ، فهذا في الأعم فقد استعمل في الشر أيضا قال تعالى : (فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ)[١] . قال الخليل : (أتبع فلان فلانا إذا تبعه يريد شرا)[٢] وذكر هذه الآية . فالمسألة من باب الأعم الأغلب ، وبينهما فرق على هذا .

٤٥. الجُؤَار والخُوَار

قال القاضي عياض في (ج أ ر) : (وقوله : " أو بقرة لها جُؤَار " كذا ذكره البخاري بالجيم مهموزا في كتاب الزكاة ، وذكره أيضا هو في هذا الموضع وغيره ومسلم : خُوَار بالخاء غير مهموز [٣] ، وكلاهما بمعنى يقال لصوت البقر : جؤار وخوار أيضا ، وقد يستعمل الخوار بالخاء في الشاء والظباء ، والجؤار بالجيم في الناس ، وأصله الصوت ، وقد يسهل ، قال الله تعالى : (فإليه تجأرون)[٤] أي تضجون وتستغيثون)[٥].

الجؤار والخوار صوت البقر [٦] وقرأ أبو السمال : " عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ "[٧] . وهما مختصان بصوت البقر، وقد يستعملان في غيره من الناس والحيوان ، على ما تقدم كما ذكر القاضي ، ويؤكد ذلك ما يأتي :

– قول البخاري في التعليق على هذا الحديث الذي معنا : (تجأرون : ترفعون أصواتكم كما تجأر البقرة)[٨]. وقال الرازي بمثله [٩]. وقول الراغب : (الخوار مختص بالبقر

---

(١) الأعراف من الآية ١٧٥ وفي التنزيل العزيز أيضا : (فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ)إبراهيم من الآية ٢١

(٢) العين (تبع)

(٣) ينظر صحيح البخاري كتاب الزكاة باب زكاة البقر (فتح الباري ٣٧٩/٣) وصحيح مسلم كتاب الإمارة باب تحريم هدايا العمال (صحيح مسلم بشرح النووي ٢١٩/١٣).

(٤) النحل من الآية ٥٣ وفي المطبوع من الكتاب (ثم إليه) وهو خطأ

(٥) مشارق الأنوار (جأر) ١٣٧/١

(٦) ينظر الصحاح واللسان (جأر) و (خور)

(٧) شواذ القرآن ٥١ والبحر المحيط ١٧٧/٥ . والآية من الأعراف ١٤٨

(٨) في صحيحه في كتاب الزكاة – باب زكاة البقر (فتح الباري ٣٧٩/٣)

(٩) ينظر مفاتيح الغيب ٥٥٠/٩

بالبقر ، وقد يستعار للبعير) [١]. وقول ابن حجر: (الحاصل أنه بالجيم وبالخاء المعجمة بمعنى ، إلا إنه بالخاء للبقر وغيرها من الحيوان ، وبالجيم للبقر والناس قال الله تعالى : " فإليه تجرون ") [٢]. وهو ككلام القاضي .

٤٥. الجَحْش والخَدْش

قال القاضي عياض في (ج ح ش) : (قوله : " جُحِش شِقَّه الأيمن " بضم الجيم على ما لم يسم فاعله يفسره الحديث الآخر : " خُدِشَ " قال الخليل : الجَحْش كالخدش وأكثر من ذلك) [٣]. و(الخدش : مزق الجلد قل أو أكثر) [٤].

نص الخليل كما في المطبوع من العين : (الجحش دون الخدش) [٥]. عكس ما ذكره القاضي .

وهذا الذي ذكره تعبير لبعض اللغويين الآخرين (قال الكسائي في جحش : هو أن يصيبه شيء فينسَحجَ منه جلده ، وهو كالخدش ، أو أكبر من ذلك) [٦]. وفي اللسان كذلك

---

(١)المفردات (خور)

(٢) فتح الباري ١٧٨/١٣

وأما أن الجؤار والخوار بمعنى فقد قال الأخفش عن ذلك وغيره مما قرئ به في هذه الآية -: (وكلٌّ من لغات العرب) معاني القرآن له ٣١٠/٢ .

ولكن تفسير الخوار بأنه صوت البقر ، والجؤار بأنه صوته إذا صاح بشدة ، كما في البحر المحيط (١٦٦/٥ و ١٧٧) يشعر بالفرق بينهما ، ومن هنا استعمل الجؤار في الناس حين يرفعون أصواتهم بالدعاء ، والله أعلم .

(٣) مشارق الأنوار (جحش) ١٤٠/١

(٤) اللسان (خدش)

(٥) العين (جحش)

(٦) غريب الحديث لأبي عبيد ٩٠/١ واللسان (جحش)

كذلك وقيل : (كالخدش أو أكبر منه) [١] . وقال ابن حجر (الجحش : الخدش أو أشد منه قليلا)[٢].

وأيا ما كان فالخليل يفرق بينهما ، سواء أكان الجحش أقل من الخدش أم أكبر منه ، وبكل قيل ؛ جاء في القاموس : (الجحش كالمنع سَحْجُ الجلد وقشره من شيء يصيبه ، أو كالخدش أو دونه أو فوقه) [٣]. ويترجح لديّ كونه فوقه أو أكبر منه ؛ لأن الجيم شديدة والخاء رخوة [٤]. ولعلهم لذلك نبهوا على هذا في الحديث ، حين رووا عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه : (سقط عن فرسه فجُحِشَ شِقُّه الأيمن) [٥]. وإن كانت حياة النبي – – صلى الله عليه وسلم – جديرة بأن يسجل كل صغير وكبير فيها .

٤٦. جَشَأَتْ وجَاشَتْ

قال القاضي عياض في (ج ي ش) : (قوله : " تَجِيشُ " أي تفور وكذلك جاشت الركية : أي فارت ، وجاشت القِدْر : فارت وغلت وكل شيء يغلي فهو يجيش وكذلك البحر والهم والنفس للقيء والغُصَّة في الصدر . وقيل : جاش معناه ارتفع ؛ ومنه سمي الجيش ، وجاشت نفسه للقيء : ارتفعت وكأن الأصمعي يفرق بين جاشت النفس وجَشَأَتْ ، فيقول : جاشت فارت ، وجشأت : ارتفعت للقئ وغيره) [٦].

جَشَأَتْ وجَاشَتْ من مادتين مختلفتين الأولى من جشأ ، والأخرى من جيش .

---

(١) اللسان (جحش)

(٢) فتح الباري ٥٨١/١

(٣) القاموس المحيط (جحش)

(٤) سر الصناعة ٦٤/١

(٥) رواه مسلم في صحيحة في كتاب الصلاة – باب ائتمام المأموم بالإمام عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – صحيح صحيح مسلم بشرح النووي ١٣٠/٤

(٦) مشارق الأنوار (جيش) ١٦٧/١

وبعض اللغويين يرى استعمالها مع النفس إذا ارتفعت للقئ ، ومن الخوف والفزع [١] فيقلان لكل منهما.

بينما يفرق بينهما الأصمعي ؛ فمعنى جشأت النفس : ارتفعت للقئ ، ومعنى جاشت فارت أو ارتفعت من غيره ، كخوف أو حزن مثلا .

ومنه قول عمرو بن معد يكرب (من الطويل) :

فجاشَتْ إليّ النَّفسُ أول مرةٍ فرُدَّتْ على مَكْرُوهِها فاستقَرَّت[٢]

وقول طرفه بن العبد (من الطويل) :

وجاشَتْ إليه النَّفْسُ خَوْفاً وخاله مُصَاباً ولو أمسى على غير مَرْصَدِ[٣]

قال الأنباري : (قوله : " وجاشَتْ " معناه ارتفعت إليه من الخوف ولم تستقر ، كما تجيش القدر ، إذا ارتفع غليانها) [٤].

ويقول بعض اللغويين بعكس ذلك ، كابن القوطية [٥] وابن فارس ونصه : (الجيم والشين والهمزة أصل واحد ، وهو ارتفاع الشيء . يقال : جشأت نفسي ، إذا ارتفعت من حزن أو فزع . فأما جاشت فليس من هذا إنما ذلك غثيانها) [٦] . وتدل مادتها على (الثَّوَران (الثَّوَران والغليان ... جاشت نفسه كأنها غلت) [٧].

---

(١) ينظر الأفعال للسرقسطي ٢/٣٠٥-٣٠٦ ، ٣١٠ ، والقاموس المحيط والمعجم الوسيط (جشأ) و (جاش)

(٢) شرح القصائد السبع لابن الأنباري ١٨٣ ودون نسبة في الأفعال للسرقسطي ٢/٣١٠

(٣) ديوانه ٢٩ وشرح القصائد السبع لابن الأنباري ١٨٣

(٤) شرح القصائد السبع ١٨٣

(٥) ينظر الأفعال ٢١٨ - ٢١٩

(٦) المقاييس (جشأ)

(٧) السابق (جيش)

والجوهري أيضا ونصه : (جاشت نفسي : أي غثت . ويقال : دارت للغثيان . فإن أردت أنها ارتفعت من حزن أو فزع قلت : جشأت) [١]. وورد في اللسان [٢].

ويرد عليهم بما سبق من الشعر ؛ إذ جاء فيه جاشت النفس بمعنى ارتفعت من الخوف ، وبقول عمرو بن الإطْنابة كذلك (من الوافر) :

وقَــوْلِي كُلَّمَــا جَشَــأَتْ وجَاشَــتْ مَكَانَــكِ تُحْمَــدِي أو تَسْــتَرِيحي[٣]

وفيه أيضا رد على الأصمعي الذي لا يرى استعمال جشأت النفس بمعنى ارتفعت من الخوف أو الحزن .

إذن الرأي الأول سليم ، وتؤيده الشواهد .

٤٧. الحَثْيَة والحَفْنَة

قال القاضي عياش في (ح ث و) : (وفيه " ثَلاَثَ حَثَيَاتٍ " ، ويروي " حفنات " بفتح الحاء والفاء والثاء. قيل : هو الغرف مِلْءُ اليد . وقيل الحثية باليد الواحدة ، والحفنة بهما جميعا) [٤].

فاختلاف الرواية له أثر دلالي في بعض الأقوال ولا أثر له في بعضها الآخر ، وممن يسوي بينهما النووي (ت٦٧٦هـ) في قوله : (قوله صلى الله عليه وسلم : (تَحْثِي على

---

(١) الصحاح (جيش)

(٢) اللسان (جيش)

(٣) الوحشيات وهو الحماسة الصغرى لأبي تمام ٧٧ ، وفي الأفعال للسرقسطي ٣٠٦/٢ برواية (جشأت لنفسي) وبهذه الرواية ودون نسبه في اللسان (جشأ)

(٤) مشارق الأنوار (حثو) ١٨٠/١

رَأْسكِ ثلاث حَثَيَات " [١] هي بمعنى الحفنات في الرواية الأخرى والحفنة ملء الكفين من أي شيء كان) [٢].

٤٨. الحزن والهم

قال القاضي عياض في (ح ز ن) : (قوله : " أعوذ بك من الهَمِّ والحُزْن " [٣]. قيل : هما بمعنى ، ومراده الحزن على ما فات من الدنيا الذي نهى الله عنه ، فاستعاذ – عليه السلام – منه ، وتكون استعاذته أيضا من الهم بأمور الدنيا . وقيل : الفرق بين الهم والحزن أن الحزن لما مضى وفات ، والهم بما يأتي ، وهو الغم للفكرة مما يخافه أو يرجوه من الهم برزقه ، أو من الفقر ، أو توقع حوادث الدهر) [٤].

وصور السيوطي في شرحه لسنن النسائي (ت ٣٠٣ هـ) ذلك الخلاف ناقلا الفرق نفسه ، حيث قال : (قال الخطابي : أكثر الناس لا يفرقون بين الهم والحزن ، إلا أن الحزن إنما يكون على أمر قد وقع ، والهم فيما يتوقع)[٥] فالخطابي يفرق بينهما .

ومال الإمام السندي في حاشيته عليه إلى أنهما بمعنى ، إذا قال : (قيل : الفرق بينهما أن الحزن على ما وقع، والهم فيما يتوقع ، وكثير منهم يجعلونه من باب التكرير ، وكثيرا ما يجئ مثل هذا التأكيد بالعطف مراعاة لتغاير اللفظ) [٦].

---

(١) جزء من حديث عن أم سلمة في صحيح مسلم في كتاب الحيض . باب حكم ضفائر المغتسلة . صحيح مسلم بشرح النووي ١١/٤

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١١/٤

(٣) جزء من حديث طويل عن أنس بن مالك في صحيح البخاري كتاب الجهاد – باب من غزا بصبي للخدمة (فتح الباري ١٠٢/٦) وسنن النسائي ٢٥٧/٨ كتاب الاستعاذة

(٤) مشارق الأنوار (حزن) ١٩١/١

(٥) سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي ٢٥٧/٨

(٦) نفسه ٢٥٧/٨ – ٢٥٨

ويظهر لي أن الحزن يكون على ما مضى وعلى ما يأتي أيضا ؛ قال تعالى : ﴿لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ ﴾ [١]وقال عز وجل : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [٢] وقال جل شأنه حكاية عن يعقوب – عليه السلام – : ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ ﴾ [٣].

وأن الهم بما يأتي وفيما يتوقع ، كما يقولون ، ولذا ذكر أبو هلال العسكري (أن الهم هو الفكر في إزالة المكروه ، واجتلاب المحبوب) [٤] . فبينهما عموم وخصوص .

وأيضا الحزن أثقل من الهم ؛ فقد ذكر أبو هلال (أن الحزن : تكاثف الغم وغلظه ، مأخوذ من الأرض الحَزْن ، وهو الغليظ الصلب) [٥].

وقال أبو حيان : (أصل الحزن : غلظ الهم ، مأخوذ من الحَزْن وهو ما غلظ من الأرض) [٦] وسياق الآيات السابقة يرشد إلى ذلك . فبينهما فروق في المعنى وليسا مترادفين.

مترادفين.

٤٩. الحسد والغِبْطة

قال القاضي عياض في (ح س د) : (قوله : " لا حسد إلا في اثنتين " [٧] ، أي لا لا حسد محمود وغير مذموم إلا فيهما . والحسد المحمود : تمني مثل ما تراه لغيرك ، وهذا يسمى الغبطة . والمذموم أن تتمنى زواله عنه وانتقاله إليك ، وهو الحسد بالحقيقة) [٨].

---

(١) آل عمران من الآية ١٥٣

(٢) التوبة من الآية ٤٠

(٣) يوسف من الآية ١٣

(٤) الفروق اللغوية ٢٦٦

(٥) نفسه ٢٦٧

(٦) البحر المحيط ٢٥٩/١ عند آية البقرة ٣٨

(٧) جزء من حديث عن سالم عن أبيه في صحيح البخاري في كتاب التوحيد باب (٤٥) فتح الباري ٥١١/١٣

(٨) مشارق الأنوار (حسد) ٢١١/١

وذلك معروف ومشهور ، وممن فرق بينهما بهذا : الهروي [١] وابن الجوزي [٢] وابن وابن الأثير [٣] واشتقاقهما يستلزم ذلك إذا (أصل الحسد : القَشْر ، وأصل الغَبْط : الجَسُّ ، والشجر إذا قشر عنها لحاؤها يبست وذا خُبِط ورقها استخلَف دون يُبْس الأصل) [٤].

٥٠. حلج وخلج

قال القاضي عياض في (ح ل ج) : (وقوله في أكل المحرم من الصيد : " وإن تَحَلَّج في نفسك شيء " بالحاء المهملة واللام المشددة ، وروي بالخاء المعجمة وآخره جيم ... ومعناه : شك ... وحكي الهروي الوجهين عن الأصمعي وغيره قال : وفرق شمر بينهما [٥] والمعنى قريب) [٦].

لم يذكر القاضي عن الهروي ما فرق به شمر بينهما . ونصه في الغريبين : (قال شمر : معنى لا يَتَحَلَّجَنَّ ، بالحاء غير معجمة ، أي لا يدخلن قلبك منه شيء ، يعني أنه نظيف ، ومعنى لا يَتَخَلَّجَنَّ ، بالخاء معجمة ، أي لا يتحركن الشك في قلبك) [٧].

ومعناهما قريب جدا ، وقد روي عن شمر نفسه في موضع آخر أنه قال : (وهما قريبان من السَّواء) [٨].

وسوى بينهما الأصمعي إذ قال : (تَحَلَّجَ في صدري وتَخَلَّجَ أي شككت فيه) [٩]

---

(١) الغريبين (حسد)
(٢) غريب الحديث له (حسد)
(٣) النهاية (حسد) وفي اللسان (حسد)
(٤) اللسان (غبط)
(٥) ينظر الغريبين (حلج)
(٦) مشارق الأنوار (حلج) ١/١٩٤ – ١٩٥
(٧) الغريبين (حلج)
(٨) اللسان (حلج)
(٩) نفسه (حلج)

وكذلك الزمخشري [١] وابن الأثير [٢].

فهما مترادفان ، أو أنه من باب الإبدال ؛ إذا لم تختلف الكملتان إلا في حرف واحد ، وقد ذكرهما أبو الطيب (ت ٣٥١ هـ) في إبداله عن (اليزيدي يقال : خَلَجَ في صدري منه شيء يَخْلُجُ خَلْجًا، وحَلَجَ يَحْلُجُ حَلْجًا) [٣].

٥١. الحَنِين والخَنِين

قال القاضي عياض في فصل الاختلاف والوهم في حرف الحاء مع النون : (قوله في صفة بكاء الصحابة : "ولهم حَنِينٌ " [٤] ، كذا للقابس والعذرى بالحاء المهملة ، وللكافة " ولهم خنين " [٥]بالمعجمة وهو الصواب . قالوا: والأول وهم ، والخنين بالخاء المعجمة : تردد في البكاء بصوت فيه غنة . وقال أبو زيد : الخنين مثل الحنين وهو الشديد من البكاء . وقد جاء في بعض الروايات : فأكثر الناس من البكاء . وقال ابن دريد : الخنين تردد بكاء من الأنف والحنين بالحاء المهملة : تردده من الصدر) [٦].

أشار القاضي إلى الروايتين ، وذكر أن أبا زيد سوى بين الوجهين [٧] ؛ فلا أثر لاختلاف الرواية في الدلالة، بخلاف ابن دريد الذي ذكر أنه فرق بينهما بما تقدم [٨].

---

(١) ينظر الفائق في غريب الحديث ٣١٢/١

(٢) ينظر النهاية واللسان (حلج)

(٣) الإبدال ٢٧٩/١

(٤) جزء من حديث عن أنس بن مالك في صحيح البخاري في كتاب التفسير باب (١٢) (فتح الباري ١٣٠/٨)

(٥) هذه رواية مسلم في كتاب الفضائل – باب توقيره – صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم بشرح النووي ١١٢/١٥)

(٦) مشارق الأنوار ٢٠٤/١

(٧) عنه أيضا في شرح النووي لصحيح مسلم ١١٣/١٥ عن القاضي وغيره

(٨) لم أقف عليه في مظانه من المطبوع من الجمهرة بين يدي . وكل ما فيها : (الخنين : شبيه بالبكاء يتردد في الصدر) . الجمهرة باب من الثلاثي يجتمع فيه حرفان مثلان .

ويقول بهذا أيضا من يفرق بينهما (قال الخطابي : الحنين : بكاء دون الانتحاب ، وقد يجعلون الحنين والخنين واحدا إلا أن الحنين من الصدر ، أي المهملة ، والخنين من الأنف ، بالمعجمة) [١].

وذكره النووي [٢] ، وورد في اللسان أيضا : (أصل الخنين خروج الصوت من الأنف ، كالحنين من الفم)[٣]. وقال به ابن حجر أيضا [٤].

وإذا كان الخنين هو الصوت الذي فيه غنة ، فيناسبه أن يكون من الأنف ؛ لأن الغنة من الخياشيم [٥] . قال الخليل: (خَنَّت المرأة تَخنِنُّ خَنِينًا ، وهو دون الانتحاب من البكاء ...والخُنَّة كالغُنَّة كأن الكلام يرجع إلى الخياشيم)[٦].

٥٢. الخَوْبة والخَيْبة

قال القاضي عياض في (خ و ب) : (قوله : " خَيْبةً لك "! [٧] و " يا خَيْبَةَ الدَّهر" [٨] ! الخيبة : الحرمان ، ومنه خابوا وخسروا ... يقال : خاب يَخِيبُ خَيْبَة ، وخاب يَخُوبُ خَوْبة . قال الهروي : الخوبة : الفقر ، والخيبة : الحرمان) [٩].

---

(١) فتح الباري ١٣١/٨

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١١٢/١٥

(٣) اللسان (خن)

(٤) فتح الباري ١٣١/٨

(٥) ينظر المقتضب ٣٥٠/١

(٦) العين (خن)

(٧) في صحيح البخاري عن البراء في كتاب الصوم – باب (١٥) (فتح الباري ١٥٤/٤)

(٨) في السابق كتاب الأدب باب (١٠١) لاتسبوا الدهر ، عن أبي هريرة برواية : " ولا تقولوا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر " (فتح الباري ٥٨٠/١٠

(٩) مشارق الأنوار (خوب) ٢٤٧/١ . والذي في المطبوع من الغريبين للهروي (خوب) : (يقال : خاب خَوْبا إذا افتقر)

أصل الكلمتين ليس واحدا ، وتذكرهما المعاجم في مادتين مختلفتين ، وتؤكد ذلك الفرق بينهما ، جاء في اللسان في (خوب): (خاب يخُوب خَوْبا : افتقر)[١] ، وفي (خيب) : (خاب يَخِيب خَيْبة : حُرِم و لم ينل ما طلب ... والخيبة : الحرمان) [٢].

وورد في القاموس أيضا في (خوب) : (خاب خَوْبا : افتقر ، والخَوْبة : الجوع)[٣]، وفي (خيب) : (خاب يخيب خيبة : حُرِم) [٤].

ويوافق ذلك الأصل الدلالي للمادتين إذ (الخاء والواو والباء أُصيل يدل على خلوّ وشبهه . يقال : أصابتهم خَوْبة ، إذا ذهب ما عندهم و لم يبق شيء) [٥].

و(الخاء والياء والباء أصل واحد يدل على عدم فائدة وحرمان والأصل قولهم للقِدْح الذي لا يُورِى : هو خيَّاب ، ثم قالوا : سعي في أمر فخاب ، وذلك إذا حُرم فلم يفد خيرا)[٦].

٥٣. الدَّين والقرض

قال القاضي عياض في (ق رض) : (قوله : القرض ، والسلف ، والدَّين بمعنى ، إلا أن القرض ما لا أجل فيه ، والدُّين ما فيه أجل) [٧].

فرق القاضي بين الدين والقرض باعتبار صفة معنى كل منهما ، وهو ما يلاحظ في تعريفهما إذ (الدَّين : ما ثبت في الذمة وله أجل ولا يسقط إلا بأداء أو إبراء) [٨]. وقال

---

(١) اللسان (خوب)
(٢) نفسه (خيب)
(٣) القاموس المحيط (خوب)
(٤) نفسه (خيب)
(٥) المقاييس (خوب)
(٦) السابق (خيب)
(٧) مشارق الأنوار (قرض) ١٨٠/٢
(٨) معجم ألفاظ القرآن الكريم (دين)

تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ) [١]. فالأجل مذكور مع الدين .

وليس ذلك القيد في تعريف القرض إذ (القرض : ما تعطيه من المال لتُقْضَاه) [٢] . أو هو (ما يدفع إلى الإنسان من المال بشرط رد بدله) [٣].

أو (القرض : أن تعطي غيرك مالا على أن يكون دينا عليه يرده هو أو مثله إليك)[٤].

وقد فرق أبو هلال بينهما باعتبار العموم والخصوص ، عندما ذكر (أن القرض أكثر ما يستعمل في العين والوَرِق ، وهو أن تأخذ من مال الرجل درهما لترد عليه بدله درهما فيبقى دينا عليك إلى أن ترده ، فكل قرض دين ، وليس كل دين قرضا . وذلك أن أثمان ما يشترى بالنسأ ديون ، وليست بقروض ، فالقرض يكون من جنس ما اقترض ، وليس كذلك الدين)[٥].

وأضاف (ويجوز أن يفرق بينهما فتقول : قولنا يداينه يفيد أنه يعطيه ذلك ليأخذ منه بدله ؛ ولهذا يقال : قضيت قرضه ، وأديت دينه ، وواجبه ، ومن أجل ذلك أيضا يقال : أديت صلاة الوقت ، وقضيت ما نسيت من الصلاة ؛ لأنه بمنزلة القرض) [٦] . مما يعني انهما انهما متغايران .

---

(١) البقرة من الآية ٢٨٢

(٢) الصحاح (قرض)

(٣) المفردات (قرض)

(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم (قرض)

(٥) الفروق اللغوية ١٧١

(٦) نفسه ١٧١

٥٤. الرَّدَغَة والرَّزَغَة

قال القاضي عياض – في فصل الاختلاف والوهم في حرف الراء مع الداء –: (قوله: " في يوم ذي رَدَغ"[١]. كذا عند العذري ... وعند الأصيلي والسمرقندي :" رَزَع " بزاي مفتوحة مكان الدال ... وفي العين : الرَّزغة بالزاي أشد من الرَّدَغة ... وفي الجمهرة : الرزغة مثل الردغة وهو الطين القليل من مطر أو غيره [٢] . وقال ابن الأعرابي : الردغة والرزغة : الطين) [٣].

فليس لاختلاف الرواية أثر دلالي على رأي بعض العلماء ، وله أثره على رأي آخرين. إذ يسوي ابن دريد بين الردغة والرزغة فهما مترادفان ، أو من قبيل الإبدال [٤].

وفرق بينهما الخليل كما حكي عنه القاضي بأن الرزغة أشد من الردغة ، وذلك عنه في التهذيب [٥] والمقاييس[٦] وفتح الباري [٧].

والذي بين يدي في المطبوع من العين : (الرزغة أقل من الردغة) [٨]، عكس ما نقله عنه القاضي وغيره ، فلعله من اختلاف النسخ .

---

(١) في صحيح البخاري عن عبد الله بن الحارث قال : " خطبنا ابن عباس في يوم ردغ ... " كتاب الأذان باب (١٠) (١٠) الكلام في الأذان . (فتح الباري ١١٦/٢)

(٢) ينظر الجمهرة (رزغ)

(٣) مشارق الأنوار ٢٨٧/١ – ٢٨٨

(٤) ينظر الإبدال لأبي الطيب ٣٦٧/١

(٥) التهذيب (رزغ) عن الليث . وفي اللسان (رزغ) عن التهذيب .

(٦) المقاييس (رزغ)

(٧) فتح الباري ١١٧/٢

(٨) العين (رزغ)

كما فرق بينهما ابن سيده أيضا بأن (الرَّزغَة أقل من الرَّدَغَة ، والرَّزغة ، بالفتح : الطين الرقيق) [١] . وهذا أرجح ، لشدة الدال ورخاوة الزاي [٢] . والعامة عندنا يقولون : ((بأتْ مَرْدَغَهْ) إذا أوحلت الأرض وَحَلاً كثيرا من المطر .

وفي شعر لطرفه بن العبد (من الطويل) :

وأنتَ على الأَقْصَى صَباً غَيرُ قُرَّةٍ تَذَاءَبُ منها مُرْزِغٌ ومُسِيلُ[٣]

(يقول : أنت للبُعَداء كالصبا تسوق السحاب من كل وجه فيكون منها مطر مُرْزِغ ومطر مُسِيل) [٤] فالكلمة بالزاي في مقابل المطر المسيل ؛ مما يرجح أن الرزغة أقل من الردغة.

٥٥. صَفَّح وصَفَّق

جاء في فصل الاختلاف والوهم في حرف الصاد مع الفاء (قوله : فصَفَّح القوم [٥] ، وأخذ الناس في التَّصْفيح ، وأكثرتم من التصفيح ، و" إنما التصفيح للنساء " [٦] روي في الأمهات كذا بالحاء ، وروي : التصفيق بالقاف أيضا ، ومعناهما متقارب قيل : هما سواء صَفَّق بيده وصَفَّح إذا ضرب بإحداهما على الأخرى ... وقيل : التصفيح بالحاء : الضرب بظاهر إحداهما على باطن الأخرى . وقيل : بل بإصبعين من إحداهما على صفحة الأخرى،

---

(١) المحكم (رزغ) وفي اللسان (رزغ)

(٢) سر الصناعة ٦١/١

(٣) ديوانه ٨٠ وفي الصحاح والمحكم واللسان (رزغ) . والصبا : ريح تقابل الدَّبُور . غير قُرَّة : غير باردة . تذاءب : : أتى من كل وجه . ينظر اللسان (صبا) و(قرر) و(ذأب)

(٤) الصحاح واللسان (رزغ)

(٥) صحيح البخاري كتاب الأحكام باب (٣٦) فتح الباري ١٩٤/١٣

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤٦/٤ كتاب الصلاة

وهذا للإنذار والتنبيه . والتصفيق بالقاف : الضرب بجميع إحدى الصفحتين على الأخرى ، وهو للعب واللهو)[١].

ويسوي بينهما عدد من اللغويين ، منهم ابن دريد في قوله (التصفيح : التصفيق باليدين وفي الحديث : "التسبيح للرجال والتصفيح للنساء" وهو التصفيق)[٢].

والجوهري أيضا فعنده (التصفيح: مثل التصفيق . وفي الحديث " التسبيح للرجال والتصفيح للنساء " ويروى أيضا بالقاف) [٣] . قال ابن الأثير في التصفيح: (هو من ضرب صفحة الكف على صفحة الكف الأخرى) [٤].

ويقول الفيومي كذلك : (التصفيح للنساء مثل التصفيق) [٥] . فهما مترادفان أو من البدل [٦].

وقد أشار القاضي إلى بعض الأقوال التي تفرق بينهما ، وتفيد اختلاف هيأتهما ، وأن التصفيق أقوى ، ومما يَدْعم ذلك قول ابن فارس : (الصاد والفاء والقاف أصل صحيح يدل على ملاقاة شيء ذي صَفْحة لشيء مثله بقوة. من ذلك صفقت الشيء بيدي إذا ضربته بباطن يدك بقوة) [٧] . والقاف أقوى من الحاء ؛ فيكون التصفيق : الضرب بجميع إحدى الصفحتين على الأخرى ، والتصفيح الضرب ببعضها ، أولى .

---

(١) مشارق الأنوار ٢/٥٠

(٢) الجمهرة (صفح)

(٣) الصحاح (صفح)

(٤) النهاية واللسان (صفح)

(٥) المصباح المنير (صفح) وينظر مقدمة ابن حجر لفتح الباري ١٥٣

(٦) ينظر الإبدال لأبي الطيب ١/٣٠٥-٣٠٦

(٧) المقاييس (صفق)

٥٦. العُكَّة والقِرْبَة

قال القاضي عياض في (ع ك ك) : (قوله : " عُكَّةً لها " [١] و" عُكَّةَ عَسَلٍ "[٢] بضم العين وتشديد الكاف . قال صاحب العين : هي أصغر من القِرْبة) [٣].

فسر الخليل – فيما حكي عنه القاضي – العكة بالفرق بينها وبين وعاء آخر معروف، وهو القربة ، فذكر أنها أصغر منها ، وفسرها بهذا ابن فارس [٤] وابن منظور [٥] والفيروزآبادي [٦] وابن حجر ، وتعبيره : هي (قربة صغيرة) [٧].

ومع أن هذا التفسير يفرق بين الكلمتين ، إلا أنه لا يعطي صورة واضحة في الذهن للعكة ، وهو ما نجده عند ابن الأثير ، فقد ذكر أن العكة (وعاء من جلود مستدير يختص بهما ، وهو بالسَّمْن أخص) [٨] الضمير في : يختص بهما ، يعود على السمن والعسل .

وإذا كان الحبس من معاني مادة (ع ك) [٩] ، عرفنا أن العكة (سميت بذلك لأن السمن يُجمع فيها كما يُحبس الشيء) [١٠].

---

(١) جزء من حديث طويل عن أنس بن مالك في صحيح البخاري في كتاب الأطعمة باب (٦) من أكل حتى شبع (فتح الباري ٤٣٧/٩)

(٢) جزء من حديث طويل عن عائشة في صحيح البخاري في كتاب الطلاق باب (٨) لم تحرم ما أحل لك (فتح الباري ٢٨٧/٩)

(٣) مشارق الأنوار (عك) ٨٢/٢ وكلام الخليل في العين (عك)

(٤) المقاييس (عك)

(٥) اللسان (عك)

(٦) القاموس المحيط (عك)

(٧) مقدمة فتح الباري ١٦٧

(٨) النهاية (عك) وفي اللسان (عك)

(٩) المقاييس (عك)

(١٠) نفسه (عك)

٥٧. الفؤاد والقلب

قال القاضي عياض في (ف أ د) : (قوله : " أهل اليمن أَضْعَفُ – ويروي أَلْيَن – قلوبا وأرقُّ أفئدة "[١]. الفؤاد : القلب ، فهما لفظان بمعنى ، كَرَرَّ لفظهما لاختلافه تأكيدا ، وقيل : الفؤاد عبارة عن باطن القلب . وقيل : الفؤاد عين القلب . وقيل القلب أخص من الفؤاد . وقيل : الفؤاد غشاء القلب ، والقلب حبته)[٢].

الفؤاد والقلب مترادفان عند القاضي والعطف في الحديث من باب التكرار ؛ تأكيدا للمعنى وجاز العطف لتغاير اللفظين ، وهناك من يفرق بينهما ، كما ذكر .

وممن فرق بينهما الأزهري مع التعرض لهذا الخلاف ، حيث قال في تعليقه على الحديث المذكور : (فوصف القلوب بالرقة والأفئدة باللين ، وكأن القلب أخص من الفؤاد في الاستعمال . ولذلك قالوا : أصبت حبَّة قلبه وسُوَيْداء قلبه ... وقيل : القلوب والأفئدة قريبان من السواء ، كَرَّر ذكرهما لاختلاف لفظيهما تأكيدا . وقال بعضهم : سمي القلب قلبا لتقلبه ، وسمي فؤادا لتحرقه على من يشفق عليه ... ولا أنكر أن يكون القلب هي العلقة السوداء في جوفه ، والله أعلم ؛ لأن قلب كل شيء لبه وخالصه)[٣]. والرواية التي أمامنا وصفت فيه القلوب باللين والأفئدة بالرقة !.

فهذان فرقان باعتبار الخصوص والاشتقاق .

وفرق بينهما الراغب كذلك باعتبار الاشتقاق ، عندما ذكر أن (الفؤاد كالقلب لكن يقال له فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفوَّد أي التوقد يقال : فأدت اللحم : شويته ولحم فئيد: مَشْوِي)[٤].

---

(١) مسند الإمام أحمد ١٥٤/٤

(٢) مشارق الأنوار (فأد) ١٤٤/٢

(٣) التهذيب (قلب)

(٤) المفردات (فأد)

وفي النهاية لابن الأثير (الفؤاد : القلب وقيل : وسطه . وقيل : الفؤاد : غشاء القلب ، والقلب حبته وسويداؤه) [١] . وقال في موضوع آخر : (القلوب جمع القلب ، وهو أخص من الفؤاد في الاستعمال) [٢].

وتعرض لهما نعمة الله الجزائري (ت١١١٢ هـ) في فروقه فقال : (الفؤاد والقلب لم يفرق بينهما أهل اللغة بل عرفوا كلا منهما بالآخر . وقال بعض أصحابنا من أهل الحديث: الأفئدة توصف بالرقة والقلوب باللين ؛ لأن الفؤاد غشاء القلب ، إذا رق نفذ القول فيه وخلص إلى ما وراءه ، وإذا غلظ تعذر وصوله إلى داخله ، وإذا صادف القلب شيئا علق به إذا كان لينا) [٣] . والتعميم بأن أهل اللغة لم يفرقوا بينهما مردود بما تقدم .

ويدل هذا على أن الفؤاد له سياق لغوي خاص يستعمل فيه ، حين يشتد التأثر بالأمر؛ قال تعالى: (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) [٤] وفي التنزيل العزيز أيضا : (نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ) [٥] ، قال الراغب : (وتخصيص الأفئدة تنبيه على فَرْطِ تأثيرٍ له) [٦].

وسياق الحديث السابق يدعم ذلك ؛ فهو يتكلم عن أناس سريعي الاستجابة والتأثر ، فعطف الأفئدة على القلوب ؛ ليدل على ذلك ، والله أعلم .

---

(١) النهاية (فأد) وفي اللسان (فأد)

(٢) النهاية (قلب)

(٣) فروق اللغات لوحة ٢٦ مخطوط وعندي صورة منه

(٤) إبراهيم من الآية ٣٧

(٥) الهمزة ٦ ، ٧

(٦) المفردات (فأد)

٥٨. الفَصْم والقَصْم

قال القاضي عياض في (ف ص م) : (قوله في الوحي : (" فيفصم عني "[١] يروى يروى بفتح الياء وبضها على ما لم يسم فاعله ، ومعناه : ينفصل عني ويقلع . قال الوزير أبو الحسين : فيه سر لطيف وإشارة خفية من الكلام إلى أنها بينونة من غير انقطاع ، وأن الملك فارق ليعود إليه . والفصم : القطع من غير بينونة ، بخلاف القصم بالقاف الذي هو انفصال تام) [٢].

وهذا من دقة اللغة العربية ، وبلاغته – صلى الله عليه وسلم – ، وفطنة أبي الحسين بن سراج – شيخ القاضي عياض – الذي لاحظ هذا السر اللطيف في التعبير النبوي الشريف.

وممن قال بهذا الفرق أبو عبيد [٣] وابن مكي الصقلي [٤] والنووي [٥] وغيرهم . وغيرهم . ومنه قوله تعالى : (فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا) [٦].

وقول ذي الرمة (من البسيط) ، يذكر غزالا يشبهه بدُمْلُجِ فِضَّة :

كأنه دُمْلُجٌ من فِضَّةٍ نَبَهٌ ... في ملعبٍ من جَوَارِي الحَيِّ مَفْصُومُ[٧]

---

(١) جزء من حديث عن عائشة – رضى الله عنها – في صحيح مسلم بشرح النووي ٨٨/١٥ كتاب الفضائل باب طيب عرقه – صلى الله عليه وسلم – والتبرك به

(٢) مشارق الأنوار (فصم) ١٦٠/٢

(٣) غريب الحديث ١٨٣/١ – ١٨٤

(٤) تثقيف اللسان ٣١٧

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ٨٨/١٥

(٦) البقرة من الآية ٢٥٦

(٧) ديوانه ٣٩١/١ ودُمْلِجَ جسمُه دَمْلَجَةً ، أي طُوِي طيًّا حتى أكثر لحمه . ونَبَهٌ هنا بدل من دُملج . وأضله نبها : لم لم يدر متى ضل . اللسان (دملج) (ونبه)

وإنما جعله مفصوما لتثنية ؛ وانحنائه إذا نام ، ولم يقل : مقصوم ، فيكون بائنا باثنتين)[١] .

فجعلوا الفاء – لرقتها – للمعنى الضعيف ، والقاف – لقوتها – للمعنى القوي .

٥٩. لفح – نفح

قال القاضي عياض في (ل ف ح) : (قوله : " لَلَفَحَتْكَ النار "[٢] وتلفحُه النار ، أي تضربه وتؤثر فيه ، قال الأصمعي : كل ما كان من الريح لفح فهو حر ، وما كان نفح بالنون فهو برد)[٣].

وهذا الفرق عن الأصمعي في الصحاح واللسان كذلك [٤] ، وقال به بعض اللغويين اللغويين أيضا ، فعن (ابن الأعرابي : اللفح لكل حار ، والنفح لكل بارد) [٥] ، وقال به ابن ابن القوطية [٦] . ولعل من أثر ذلك قول بعض العامة : " نَفْحَه " حين يأتيه بعض الخير .

واللفح عند الزجاج أشد من النفح ، فقد قال في معرض تفسير قوله تعالى : (تَلْفَحُ وَجُوهَهُمُ النَّارُ)[٧] : (يلفح وينفح في معنى واحد ، إلا أن اللفح أعظم تأثيرا)[٨] . هذا مع مع النار ، أما الأول فهو مع الريح .

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ١٨٤/١

(٢) جزء من حديث عن أبي مسعود الأنصاري في صحيح مسلم بشرح النووي ١٣١/١١ كتاب الإيمان باب صحبة المماليك .

(٣) مشارق الأنوار (لفح) ١/ ٣٦١

(٤) الصحاح واللسان (لفح)

(٥) اللسان (لفح)

(٦) ينظر الأفعال له ٢٥٩ والأفعال للسرقسطي ١٧٩/٣

(٧) المؤمنون من الآية ١٠٤

(٨) معاني القرآن ٢٣/٤ وعنه في مفاتيح الغيب ٤١٠/١١ والبحر المحيط ٥٧٩/٧ وورد في اللسان (لفح)

ولعل السبب فيما تقدم من فرق بين الكلمتين ، أن النون أضعف من اللام [١] ، ذكر سيبويه في صفات الحروف أن (منها المنحرف ، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت ، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة ، وهو اللام . وإن شئت مددت فيها الصوت . وليس كالرخو ؛ لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه وليس يخرج الصوت من موضع اللام ، ولكن من ناحيتي مُسْتَدَق اللسان فُوَيْق ذلك)[٢].

وفي إبراز المعاني لأبي شامة الدمشقي (ت ٥٠٩ هـ) : (اللسان عند النطق باللام ينحرف إلى داخل الحنك قليلا ؛ ولذلك سمي منحرفا ، وجرى فيه الصوت ، وإلا فهو في الحقيقة لولا ذلك حرف شديد ، إذ لولا الانحراف لم يجر الصوت وهي معنى الشدة ، ولكنه لما حصل الانحراف مع التصويت كان في حكم الرخوة ؛ لجرْى الصوت ، وكذلك جعل بين الشديدة والرخوة) [٣].

فاللام أشبه الأصوات المتوسطة بالأصوات الشديدة ، فهي لذلك أقوى من النون .

هذا ما أجده من تعليل لما قيل من أن النون أضعف من الكلام ، إذ إنهما متحدان في الصفات الأساسية : الجهر والتوسط بين الشدة والرخاوة والانفتاح والاستفال والذلاقة [٤] ، وتختص اللام بالانحراف والنون بالغنة ، وكلاهما من صفات القوة [٥].

---

(١) ينظر نهاية القول المفيد ٦٣

(٢) الكتاب ٤/٤٣٥

(٣) إبراز المعاني من حرز الأماني ٧٥٣

(٤) سر الصناعة ١/٦٠-٦٤

(٥) نهاية القول المفيد ٦٢

٦٠. النضح والنضخ

قال القاضي عياض في (ن ض ح) : (وفي الحديث في المذي : " فانضَحْ فَرْجَكَ " [١] قيل : رشه مخافة الوسواس وقيل : اغسله وهو أظهر هنا ، والنضخ بالخاء المعجمة جاء في بعضها بمعنى النضح ، وقيل : هو أكثر من النضح ، وهو قول أكثر اللغويين . وقيل في قوله تعالى " نَضَّاخَتَانِ" [٢] أي تفوران بكل خير . وحكي أبو زيد[٣] والهروي أن الخاء هنا أقل من الحاء [٤]. قال لي أبو الحسين : وأكثر اللغويين على خلاف هذا كما تقدم . وقال ابن الأعرابي : النضح بالمهملة ما تعمدته بيدك ، وبالمعجمة ما لم تتعمده ، مثل أن تطأ ماء فينتضح عليك [٥] ، ومثله البول – على قوله – وشبهه . وقال ابن كيسان : بالمهملة لمارق كالماء ، وبالمعجمة لما ثَخُن كالطيب وقال أبو مروان: هو بالمعجمة كاللَّطْخ مما يبقى له أثر) [٦].

فهناك من يسوي بين النضح والنضخ في المعنى ، كما أشار القاضي . وفي اللسان أيضا : (وقيل : هما لغتان بمعنى واحد . وكله رش ... النضح والنضخ وهو فيما بان أثره وما رق بمعنى واحد) [٧].

وذكر أن أكثر اللغويين على أن النضخ أكثر من النضح وذكر البطليوسي أيضا أنه (قول كثير من اللغويين)[٨] .

---

(١) جزء من حديث في صحيح مسلم بشرح النووي ٢١٣/٣ عن على بن أبي طالب عن المقداد بن الأسود ، في كتاب الحيض باب المذي

(٢) الرحمن من الآية ٦٦

(٣) وله قول آخر أيضا وهو : (النضخ : الرش ، مثل النضح ، وهما سواء) . الصحاح (نضخ)

(٤) الذي في المطبوع من الغريبين (نضخ) عكس هذا وهو : (النضح دون النضخ)

(٥) عن ابن الأعرابي في اللسان أيضا (نضح)

(٦) مشارق الأنوار (نضح) ١٦/٢ ، وينظر فيه (نضخ) في الصفحة نفسها

(٧) اللسان (نضح)

(٨) الاقتضاب ١٠٦/٢

ومن هؤلاء : الأصمعي [١] وابن قتيبة [٢] وابن جني [٣] وابن فارس [٤] والفيومي [٥].

وهذا لأن الخاء أقوى من الحاء ؛ فهي مستعلية مفخمة [٦] ، قال ابن جني (النضخ أقوى من النضح ، قال الله سبحانه : (فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ) فجعلوا الخاء – لرقتها – للمعنى الضعيف والخاء – لغلظتها – لما هو أقوى منه) [٧] . ويلاحظ معنى القوة في فرقي ابن كيسان وأبي مروان السابقين .

وهذا يتسق مع الأصل الدلالي للمادتين ، قال ابن فارس : (النون والضاد والحاء أصل يدل على شيء يُندَّى وماء يرش . فالنضح : رش الماء . ونَضَحْته . قال أهل اللغة : يقال لكل مارق : نَضْح . وهذا هو القياس الذي ذكرناه ؛ لأن الرش رقيق . يقال : نَضَحت البيت بالماء) [٨].

وقال : (النون والضاد والخاء قريب من الذي قبله ، إلا أنه أكثر منه . يقولون : النضخ كاللَّطْخ من الشيء يبقى له أثر . ونضخ ثوبه بالطيب . وغيث نَضَّاخ : غزير . وعين نضّاخة : كثيرة الماء) [٩].

بخلاف ما حكي عن أبي زيد والهروي في قوله تعالى (فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ) من أن الخاء هنا أقل من الحاء، كما أشار القاضي فيما سبق . وقال ابن دريد أيضا : (النضح

---

(١) الصحاح (نضخ)

(٢) أدب الكاتب ٢٠٠ والاقتضاب ١٠٦/٢

(٣) الخصائص ١٥٨/٢

(٤) المقاييس (نضخ)

(٥) المصباح المنير (نضخ)

(٦) النشر ٢٠٢/١ – ٢٠٣

(٧) الخصائص ١٥٨/٢ وعنه في المزهر ٥٠/١ بتصرف يسير من السيوطي .

(٨) المقاييس (نضح)

(٩) السابق (نضخ)

والنضخ متقاربان ، وكأن النضح أكثر من ذلك) [١]. وقال أيضا : (النضخ دون النضح)[٢].
النضح)[٢].

والرأي الذي قبله أولى ؛ لما تقدم ، من الدلالة الصوتية للحاء والخاء والدلالة الاشتقاقية عند العرب . كما يلاحظ أن رأي أبي زيد والهروي مرتبط بسياق الآية ، فهي في وصف جنتين دون جنتين قبلهما . ولكن هذا الماء يعد قليلا بالنسبة لما قبله في الجنتين المتقدمتين أما بالنسبة لماء الدنيا فهو كثير .

---

(١) الجمهرة (نضح)

(٢) نفسه (نضخ)

الفصل الثالث

فروق باعتبارات مختلفة

٦١. الأبقع والأبلق

قال القاضي عياض في (ب ق ع) : (وقوله : " الغُرابُ الأَبْقَعُ " [١] كل ما فيه بياض وسواد فهو أبقع وأصله لون يخالف بعضه بعضا ولا يقال : أبلق إلا في الخيل) [٢] و(البَلَق : سواد وبياض) [٣]أيضا .

فرق القاضي بين الكلمتين هنا باعتبار العموم والخصوص فالأبقع عام يقال للغراب وغيره من الطيور والحيوانات مما فيه بياض وسواد ، أما الأبلق فلا يقال لشيء فيه هذا إلا للخيل خاصة .

نعم البقع عام قال ابن دريد : (البَقَع : سواد وبياض في ألوان الكلاب وغيرها)[٤].
وقال ابن فارس : (يقال : غراب أبقع وكلب أبقع) [٥] .

وقال الفيومي : (بَقِع الغراب وغيره بَقَعًا من باب تعب : اختلف لونه فهو أبقع)[٦].

---

(١) جزء من حديث عن عائشة – رضي الله عنه – في سنن ابن ماجه ١٠٣١/٢ كتاب المناسك باب ما يقتل المحرم
(٢) مشارق الأنوار (بقع) ٩٩/١
(٣) اللسان (بلق)
(٤) الجمهرة (بقع)
(٥) المقاييس (بقع)
(٦) المصباح المنير (بقع)

ويقال في الخيل : أبلق ، وقد اشتهرت به ، قال ابن قتيبة في باب خلق الخيل : (الأبلق من الخيل : هو الأبقع من الشاء والكلاب والطير) [١] فسر البَلَق في الخيل بذكر نظيره في غيره . وقال ابن سيده في ألوان الخيل : (... والبَلَق هُجْنة في الخيل) [٢] .

ولكن في كتب اللغة أيضا ما يفيد أن البلق يكون في الدواب عامة وليس في الخيل فقط ، جاء في اللسان : (البَقَع في الطير والكلاب : بمنزلة البَلَق في الدواب) [٣] . وورد هذا هذا في القاموس أيضا [٤].

فيكون – بناء عليه – البقع في الطير والدواب ، والبلق في الدواب فقط ، أي ذوات الأربع . وبينهما فرق في الاستعمال على هذا الوجه أيضا .

٦٢. الثَّناء والنَّثَا

قال القاضي عياض في (ن ث و) : (قوله في إسلام أبي ذر " فنَثَا علينا الذي " [٥] [٥] . قيل : نَثَا ، أي أخبر، بتقديم النون في الخير والشر ، والثناء بتقديم الثاء ممدود في الخير وحده) [٦] .

فالنَّثا بالقصر وتقديم النون على الثاء – أعم من الثناء عند القاضي وقد ذهب إلى ذلك بعض اللغويين أيضا ، قال ابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) : (الثناء في المدح لا غير ، والنثا مقصور ، يكون في الخير والشر) [٧] . وقال به الجوهري أيضا [٨].

---

(١) أدب الكاتب ١٢٩

(٢) المخصص كتاب الخيل – ألوان الخيل سفر ٦ جـ ٢/٩٢

(٣) اللسان (بقع)

(٤) ينظر القاموس المحيط (بقع)

(٥) في صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/٢١٧ عن أبي ذر : " فجاء خالنا فنَثَا علينا الذي قيل له " كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي ذر – رضي الله عنه وهو جزء من حديث طويل .

(٦) مشارق الأنوار (نثو) ٢/٤

(٧) شرح القصائد السبع الطوال ٣٣٦

(٨) الصحاح (نثا) وعنه في اللسان (نثا)

ومنه قول الشنفري الأزدي (من الطويل) :

أُمَيْمَـــةُ لا يُخْـــزي نَثَاهَـــا حَلِيلَهـــا إذا ذُكِـــرَ النِّسْـــوَانُ عَفَّـــتْ وجَلَّـــتِ[١]

فلو كان النثا في الخير فقط لم يكون لقوله (لا يُخْزِي) معنى . وعليه الحديث الذي ذكر القاضي بعضه ، ولو ذكر صلة " الذي " لاتضح ذلك ؛ حيث قال أبو ذر – رضـــي الله عنه – : " فجاء خالُنا فَنَثَا علينا الذي قيل له" " أي أظهره إلينا وحدثنا به " [٢] . وهـــذا – كما يبدو – عام في كل ما يخبر به . وقد قال ابن الأعرابي : (النثا في الكلام القبيح والحسن) [٣] وقاله صاحب القاموس أيضا [٤].

بخلاف الثناء الذي خص بالمدح ؛ ومنه قول عنترة بن شداد في معرض مخره بنفسه (من الكامل) .

أَثْنِـــى علـــيّ بمـــا عَلِمْـــتِ فـــإنني سَـــــمْحٌ مُخَـــالَقِي إذا لم أُظلـــــمِ[٥]

وعلق عليه ابن الأنباري في شرحة بما تقدم عنه من فرق بين الثناء والنثـــا باعتبـــار العموم والخصوص .

وذهب ابن القوطية إلى أنه يقال : (أثنيت على الرجل : وصفته بخير أو بشر) [٦].

[٦].

وجاء في اللسان : (الثناء : ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم ، وخص بعضهم به المدح) [٧].

---

(١) ديوانه ٣٦ والمفضليات (مفضلية ٢٠ البيت : ١٠) ١٠٩

(٢) النهاية واللسان (نثا)

(٣) الغريبين (نثا) وينظر النهاية واللسان (نثا)

(٤) ينظر القاموس المحيط (نثا)

(٥) ديوانه ٢٣ وفي شرح القصائد السبع لابن الأنباري ٣٣٦ برواية : سَمْحٌ مخالطتي

(٦) الأفعال ١٣٧ وينظر الأفعال للسرقسطي ٦٢١/٣

(٧) اللسان (ثنى)

ويؤيد الاستعمال اللغوي ما بينهما من فرق ، ولا يفهم الآن من دلالة كلمة " أثنى " إلا المدح .

٦٣. الأزْلام والسِّهام

قال القاضي عياض في (ز ل م) : (قوله : " فضربت بالأزلام " [١] هي قِدَاح كانوا في الجاهلية يضربون بها في أمورهم ويستقسمون بها ، عليها علامات للخير والشر ، والأخذ والترك ... وأحدها زُلَم ، بفتح الزاي وضمها وفتح اللام ، وإنما تسمى القداح بذلك ما لم يكن عليها ريش ، فإذا رِيشت فهي سهام) [٢].

فقد فرق القاضي بينهما باعتبار الإطلاق والتقييد . ويقول ابن دريد أيضا : (السهم الذي يرمى به معروف، ولا يسمى سهما حتى يكون عليه نَصْل وريش وإلا فهو قِدْح) [٣].

ويقول البغوي (ت٥١٦هـ) : (الأزلام : هي القِداح التي لا ريش لها ولا نصل) [٤] . ويذكر ابن منظور أيضا أن (الزُّلم والزَّلم : القِدْح الذي لا ريش عليه) [٥] . مما يوضح يوضح الفرق بين الأزلام والسهام ويؤكد كلام القاضي.

---

(١) لم أقف عليه بنصه وأما كلمة (أزلام) فقد وردت في عدة أحاديث ، كما في صحيح البخاري في كتاب المغازي باب (٤٨) حديث رقم ٤٢٨٨ (فتح الباري ٦٠٩/٧) وباب (٦٢) حديث رقم ٤٣٥٧ (فتح الباري ٦٧٠/٧)

(٢) مشارق الأنوار (زلم) ٣١٠/١

(٣) الاشتقاق ١١٨

(٤) تفسير البغوي : معالم التنزيل ٨/٢

(٥) اللسان (زلم)

٦٤. الوسم والوشم

قال القاضي عياض في (و س م) : (قوله : " بيده مِيسَم وهو يَسِمُ إبل الصَّـــدقة " [١] و " نهى عن الوَسْم في الوجه " [٢] ولعن الذي وسمه . السمة ، بكسر السين وتخفيف الميم : العلامة ... والوشم ، بالشين ، نحو منه ، وسنذكره بعد وقد فرق بعضهم بينهما) [٣].

فهما بمعنى واحد وهو العلامة عنده ، بخلاف ما يرى بعضهم ، ولم يذكر في كلامـــه وجه الفرق بينهما عمن يقول بذلك .

وما ذهب إليه القاضي قال به بعض اللغويين من قبل ؛ ففي اللسان عن (ابن شميل : الوُسُوم والوُشُوم : العلامات) [٤].

وفرق بعض اللغويين بينهما ، فقد ذكر ابن منظور أن قوله (من الطويل):

أقـــولُ وفي الأَكْفـــانِ أَبْـــيَضُ ماجـــدٌ كغُصْـــنِ الأراكِ وَجْهُـــه حـــين وَشَّـــما

يروي : وَشَّم ووَسَّم ، فوشَّم : بدا ورقه ، ووسَّم : حَسُن) [٥].

فالوسم يستعمل في الدلالة على الحسن والجمال ، بخلاف الوشم ، وإن كان المعـــنى العام وهو العلامة متحقق في كليهما يقال : (فلان وسيم الوجه) [٦] و(إنها لوسيمة قسيمة ،

---

(١) عن أنس بن مالك قال : " رأيت في يد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المِيسَمَ وهو يَسِمُ إبل الصدقة " صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/١٠٠ كتاب اللباس والزينة باب كراهة القزع . و(المِيسَم : المِكْوَاة أو الشيء الذي يوسم به الدواب) اللسان (وسم) .

(٢) رواه الترمذي في سننه ٤/١٨٣ عن جابر في كتاب الجهاد باب (٣٠)

(٣) مشارق الأنوار (وسم) ٢/٢٩٥

(٤) اللسان (وشم)

(٥) اللسان (وشم)

(٦) إصلاح المنطق ٤١٨

، وإنه لوسيم قسيم ، وهم وهن وِسام) [١] و(فلانة ذات مِيسَم إذا كان عليها أثر الجمال . والوسامة الجمال) [٢] . فيحقق الفرق بينهما ذلك السياق الخاص الذي تقال فيه الوسامة .

---

(١) أساس البلاغة (وسم)

(٢) المقاييس (وسم) وينظر المفردات (وسم)

الخـــــاتمـــــة

أخلص من هذه الدراسة للفروق اللغوية في كتاب مشارق الأنوار للقاضي عياض إلى أن موقفه وسط حيال تلك الظاهرة ؛ فهو لا يتعصب للفروق ، ولا ينكر الترادف ، فأحيانـــاً يقول بهذا ، وأحيانا يقول بذاك .

ولا سبيل إلى دفع تلك الحقيقة في اللغة ، التي يؤيدها الواقع اللغوي ، حتى أن بعض من يقرون الترادف ، يقرون أحياناً بالفروق بين بعض الألفاظ كما عند الأصمعي في جشأت وجاشت ، وبعض من ينكرون الترادف ، يقرون بوقوعه أحياناً كما عند أبي هلال العسكري في طاع وأطاع وأن القاضي عياضا كان حسه مرهفا إلى حد كبير في الإحســـاس بـــالفروق الدلالية بين الألفاظ المتقاربة ، و لم يستعمل كلمة ترادف بل كان يقول: وهما بمعنى أو بمعـــنى واحد وما إلى ذلك .

كما ثبت إقرار مجيء الصوت والصيغة المناسبين للمعنى المناســـب ، وأن الاســـتعانة بمعطيات الدراسة الصوتية والاشتقاقية تفيد كثيراً في دراسة هذه الظاهرة ، كما لوحظ عنـــد أَدْلَجَ و ادّلَجَ ، والفؤاد والقلب ، والفصم والقصم مثلاً .

وأن من المتقدمين من سبق المحدثين إلى أنه يمكن أن يتبادل لفظان في بعض السياقات، وليس فيها كلها كما في أحد وواحد .

والحمد لله أولاً وأخيراً

د. ياسر السيد رياض

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. **الإبـــدال لأبي الطيب اللغوي** ت عز الدين التنوخي ، مطبوعات مجمع اللغـــة العربيـــة بدمشق ١٣٨٠ هـــ/ ١٩٦١ م .

٢. **إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع لأبي شامة الدمشقي** ت إبراهيم عطـــوة عوض – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ١٤٠٢هـــ / ١٩٨٢ م .

٣. **أدب الكاتب لابن قتيبة** ت محمد الدالي ط مؤسسة الرسالة – بيروت ط الثانيـــة ١٤٠٥ هـــ / ١٩٨٢ م

٤. **أساس البلاغة للزمخشري** ت عبد الرحيم محمود ط دار المعرفة – بيروت د ت .

٥. **الاشتقاق لابن دريد** . ت عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل – بـــيروت ط الثانيـــة ١٤١١ هـــ - ١٩٩١

٦. **إصلاح المنطق لابن السكيت** ت أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمـــد هـــارون ط دار المعارف – القاهرة ط الرابعة د ت .

٧. **الأصمعي اللغوي صورة عراقية في القرن الثاني الهجري** د/عبد الحميـــد الشـــلقاني ط دار المعارف – القاهرة د.ت.

٨. **الأصوات اللغوية** د / إبراهيم أنيس ط مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٧م .

٩. **الأعـــلام** للزركلي ط دار العلم للملايين – بيروت ط الخامسة ١٩٨٠ م .

١٠. **الأفعال للسرقسطي** ت د / حسين محمد محمد شرف ط الهيئة العامة لشئون المطـــابع الأميرية – القاهرة ١٣٩٥ هـــ / ١٩٧٥ م .

١١. **الأفعال لابن القوطية** ت على فودة ط مكتبة الخانجي – القاهرة ط الثالثة ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م .

١٢. **الاقتضاب في شرح أدب الكتاب للبطليوسي** ت مصطفى السقا ود/ حامد عبد المجيد ط الهيئة المصرية العامة للكتب ١٩٨١ م وما بعدها.

١٣. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي** ط دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

١٤. **البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي** ط دار الفكر – بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

١٥. **تاج العروس من جواهر القاموس للسيد مرتضى الزبيدي** ، المطبعة الخيرية – مصر ط الأولى ١٣٠٦ هـ.

١٦. **تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري** ت أحمد عبد الغفور عطار ط دار العلم للملايين – بيروت ط الثالثة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

١٧. **تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي** ت د/ عبد العزيز مطر ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م .

١٨. **تذكرة الحفاظ للذهبي** ط دار الفكر العربي ط الحادية عشرة د.ت.

١٩. **تصحيح الفصيح وشرحه لابن درستويه** ت د/ محمد بدوي المختون ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م.

٢٠. **التعريفات للجرجاني** ت إبراهيم الإبياري ط دار الريان للتراث – القاهرة د ت .

٢١. **التمهيد في علم التجويد لابن الجزري** ت د / على حسين البواب ط مكتبة المعارف – الرياض ط الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

٢٢. **تهذيب اللغة للأزهري** ت نخبة من العلماء ط الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٢٣. **جمهرة اللغة لابن دريد** ت د / رمزي منير بعلبكي ط دار العلم للملايين – بيروت ط الأولى ١٩٨٧م.

٢٤. **حياة الحيوان الكبرى للدميري** ط دار الفكر

٢٥. **الخصائص لابن جني** ت ا/ محمد علي النجار ط دار الكتاب العربي – بيروت د ت .

٢٦. **دور الكلمة في اللغة تأليف ستيفن أولمان** ، ترجمة د/ كمال محمد بشر ، ط مكتبة الشباب القاهرة ، ١٩٩٠م

٢٧. **ديوان الأعشي** ط دار بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

٢٨. **ديوان ذي الرمة** ت د / عبد القدوس أبو صالح ط مؤسسة الإيمان – بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

٢٩. **ديوان زهير بن أبي سلمى** ت كرم البستاني ط مكتبة صادر – بيروت ١٩٥٣ م .

٣٠. **ديوان الشنفري** ، إعداد وتقديم طلال حرب ط دار صادر – بيروت ط الأولى ١٩٩٦ م .

٣١. **ديوان طرفة بن العبد** ط دار صادر – بيروت د ت .

٣٢. **ديوان عنترة** ط دار بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

٣٣. **الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري** ت د / حاتم صالح الضامن ط مؤسسة الرسالة – بيروت ط الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

٣٤. **سر صناعة الإعراب لابن جني** ت د / حسن هنداوي ط دار القلم – دمشق ط الثانية ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .

٣٥. **سنن الترمذي** ت ا/ أحمد محمد شاكر ط المكتبة الثقافية – بيروت د ت .

٣٦. **سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندى** ط دار الريان للتراث – القاهرة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

٣٧. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي** ط دار الآفاق الجديدة – بيروت د.ت .

٣٨. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعينى ط دار إحياء الكتب العربية – القاهرة د ت .

٣٩. **شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري** ط دار إحياء الكتب العربية – القاهرة د ت .

٤٠. **شرح شافية ابن الحاجب للرضي** ت محمد نور الحسن وآخرين ط دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

٤١. **شرح فصيح ثعلب لابن الجبّان ت عبد الجبار جعفر القزاز** ط المكتبة العلمية – لاهور باكستان ط الأولى ١٤٠٦ هـ .

٤٢. **شرح الفصيح لابن هشام اللخمي** ت د / مهدي عبيد جاسم ط وزارة الثقافة والإعلام – بغداد ط الأولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .

٤٣. **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري** ت عبد السلام محمد هارون ط دار المعارف – القاهرة ط الخامسة د ت .

٤٤. **شرح المفصل لابن يعيش** ط مكتبة المتنبي – القاهرة د ت .

٤٥. **شرح الملوكي في التصريف لابن يعيش** ت. د/ فخر الدين قباوة ، ط المكتبة العربية بحلب ، ط الأولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

٤٦. **صحيح مسلم بشرح النووى** ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – القاهرة ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .

٤٧. **علم الدلالة د/ أحمد مختار عمر** ، ط عالم الكتب القاهرة ، ط الخامسة ، ١٩٩٨م

٤٨. **علم اللغة بين التراث والمعاصرة د / عاطف مدكور** ط دار الثقافة – القاهرة ١٩٨٧م .

٤٩. **العين للخليل بن أحمد** ت د / مهدي المخزومي ود / إبراهيم السامرائي ط دار ومكتبة الهلال د ت .

٥٠. **غريب الحديث لابن الجوزي** ت د / عبد المعطي أمين قلعجي ط دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

٥١. **غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام** ط دار الكتب العلمية– بيروت ط الأولى ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م.

٥٢. **غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب** لابن عزيز السجستاني ت لجنة من أفاضل العلماء ، مطبعة محمد علي صبيح – القاهرة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م.

٥٣. **الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام** ت د / محمد المختار العبيدي ط المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ودار سُحنون – تونس ط الثانية ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

٥٤. **الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي** ت أحمد فريد المزيدي ط المكتبة العصرية – صيدا بيروت ط الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م .

٥٥. **الفائق في غريب الحديث للزمخشري** ت محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ط دار المعرفة – بيروت ط الثانية د ت .

٥٦. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني** ت محمد فؤاد عبد الباقي وآخرين ط دار الريان للتراث – القـــاهرة ط الأولى ١٤٠٧ هـــــ / ١٩٨٦ م .

٥٧. **الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري** ت محمد إبراهيم سليم ط دار العلم والثقافة – القاهرة د ت .

٥٨. **فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات لنعمة الله الجزائري** ، مخطوط .

٥٩. **الفصيح لثعلب** ت د / عاطف مدكور ط دار المعارف – القاهرة د ت .

٦٠. **فعلت وأفعلت للزجاج** ت ماجد حسن الذهبي ط الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا د ت .

٦١. **القاموس المحيط للفيروز آبادي** ط الهيئة العامة للكتب – القـــاهرة ١٣٩٨ هـــــ / ١٩٧٨ م .

٦٢. **الكتاب لسيبويه** ت عبد السلام محمد هارون ط دار الجيل – بيروت ط الأولي د ت.

٦٣. **لسان العرب لابن منظور** ط دار صادر بيروت ط الأولى ١٩٩٧ م .

٦٤. **مجاز القرآن لأبي عبيدة** ت د / محمد فؤاد سزكين ط مكتبة الخانجي – القاهرة د ت.

٦٥. **مجالس ثعلب** ت عبد السلام محمد هارون ط دار المعارف – القاهرة ط الخامســـة د ت.

٦٦. **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن** جني ت على النجدي ناصف وآخرين ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٤١٥ هـــ / ١٩٩٤ م .

٦٧. **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة لابن سيده** ت نخبة من العلماء ط معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ط الأولى .

٦٨. **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه**، عنى بنشره برجستراسر ط مكتبة المتنبي– القاهرة دت.

٦٩. **المخصص لابن سيده** ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ط الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٧٠. **مدخل إلى علم اللغة د / محمود فهمي حجازي** ط دار قباء – القاهرة ١٩٩٨ م .

٧١. **المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي** ت محمد جاد المولى وآخرين ط المكتبة العصرية – صيدا بيروت ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

٧٢. **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ط دار صادر – بيروت د ت .

٧٣. **مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض** ط المكتبة العتيقة – تونس ودار التراث – القاهرة ١٣٣٣ هـ .

٧٤. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي** ط دار الفكر د ت .

٧٥. **معالم التنزيل للبغوي (بهامش تفسير الخازن)** مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ط الثانية ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م .

٧٦. معالم السنن للخطابي بهامش مختصر سنن أبي داود ط دار المعرفة – بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

٧٧. **معاني الأبنية في العربية د** / فاضل صالح السامرائي ط جامعة بغداد الأولى ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

٧٨. **معاني القرآن للأخفش** ت د / فائز فارس ط الصفا – الكويت ط الثانية ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

٧٩. **معاني القرآن للفراء** ت لجنة من العلماء ط الدار المصرية للتأليف والترجمة د ت .

٨٠. **معاني القرآن وإعرابه للزجاج** ت د / عبد الجليل عبده شلبي ط دار الحديث – القاهرة ط الثانية ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .

٨١. **معجم ألفاظ القرآن الكريم** إعداد الأستاذ محمد علي النجار ط مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٨٢. **معجم المعاجم** ، تأليف أحمد الشرقاوي إقبال ، ط دار الغرب الإسلامي - بيروت ، ط الثانية ١٩٩٣

٨٣. **المعجم الوسيط** إعداد وطبع مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط الثالثة د ت .

٨٤. **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم للجواليقي** ت احمد محمد شاكر ط دار الكتب – مصر ط الثانية ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

٨٥. **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي** ط دار الغد العربي– القاهرة ط الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٨٦. **مفتاح السعادة ومصباح السيادة لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش** كبري زاده ط دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

٨٧. **مفردات ألفاظ القران للراغب الأصفهاني** ت إبراهيم شمس الدين ط دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .

٨٨. **المفضليات للمفضل الضبي** ت أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ط دار المعارف – القاهرة ط الثامنة د ت .

٨٩. **مقاييس اللغة لابن فارس** ت عبد السلام محمد هارون ط دار الجيل – بيروت ط الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .

٩٠. **المقتضب للمبرد** ت الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .

٩١. **النشر في القراءات** العشر لابن الجزري ت على محمد الضباع ط دار الكتب العلمية – بيروت د ت .

٩٢. **النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير** ت د / محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي ط المكتبة الإسلامية د ت .

٩٣. **نهاية القول المفيد في علم التجويد** للشيخ محمد مكي نصر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ١٣٤٩هـ.

٩٤. **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي** ط مكتبة المثني – بغداد د ت .

٩٥. **الوحشيات وهو الحماسة الصغرى لأبي تمام** وعلق عليه وحققه عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر ط دار المعارف – القاهرة ط الثالثة د ت .

٩٦. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان** ت د / إحسان عباس ط دار صادر – بيروت ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .